

الكتاب الخامس عشر

١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَرَحُ

نُصَيْبَةُ الْفَلَاحِ

وَقَصِيدَةُ الْمَفْصَلِ

تَصْنِيفُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْغُصَيْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِإِسَائِيهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بَيْنَا مَعَ مَهْمَا الْعِلْمُ



شَيْخُ

نَفْسِيَّةِ الْفَاتِحَةِ

وَقَصِّدَةِ الْمَفْصَلِ

شَرْحُ

نُصَيْبِ الْفَلَاحِ

وَقِصَّةِ الْمَفْضِلِ

تَصْنِيفُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسَاتِيذِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَيَّرَ الدِّينَ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ، وَجَعَلَ لِلْعِلْمِ بِهِ أَصُولًا وَمُهِمَّاتٍ،
وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ
حَمِيدٌ مُجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ
إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَحَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّيُوخِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُمْ، بِإِسْنَادٍ كُلِّ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ
عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي قَابُوسَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ
الرَّحْمَنُ، أَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ؛ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

وَمِنْ أَكْدِ الرَّحْمَةِ رَحْمَةُ الْمُعَلِّمِينَ بِالْمُتَعَلِّمِينَ، فِي تَلْقِينِهِمْ أَحْكَامَ الدِّينِ، وَتَرْقِيَتِهِمْ فِي مَنَازِلِ
الْيَقِينِ.

وَمِنْ طَرَائِقِ رَحْمَتِهِمْ: إِيقَافُهُمْ عَلَى مُهِمَّاتِ الْعِلْمِ؛ بِإِقْرَاءِ أَصُولِ الْمُتَوْنِ، وَبَيَانِ مَقَاصِدِهَا
الْكُلِّيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الْإِجْمَالِيَّةِ؛ لِيَسْتَفْتَحَ بِذَلِكَ الْمُبْتَدِثُونَ تَلْقِيَهُمْ، وَيَجِدُ فِيهِ الْمُتَوَسِّطُونَ مَا
يَذْكُرُهُمْ، وَيَطَّلِعُ مِنْهُ الْمُنتَهُونَ إِلَى تَحْقِيقِ مَسَائِلِ الْعِلْمِ.

وَهَذَا شَرْحُ الْكِتَابِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ (بِرِّ نَامَجِ مُهِمَّاتِ الْعِلْمِ) فِي (سِتِّهِ السَّابِعَةِ)، سَبْعٍ
وَثَلَاثِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَالْأَلْفِ، وَهُوَ كِتَابُ «تَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ وَقِصَارِ الْمُفَصَّلِ»، لِصَنَفِهِ
صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعَصِيمِيِّ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

الحمد لله خلق كلَّ شيءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا، وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَعَلَى آلِهِ
 وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.
 أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مَعْرِفَةَ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ، وَالْإِشْرَافَ عَلَى مَكْنُونِ هِدَاةِ، هِيَ أَوْلَى مَا أَدْمَنَ فِيهِ النَّظَرُ،
 وَخَرَّكَتْ نَحْوَهُ الْفِكْرُ، فِيهِ تُحْصَلُ النُّفُوسُ رَاحَتَهَا، وَتَحْوِزُ الْقُلُوبُ طَمَآنِينَتَهَا.
 أَلَا وَإِنَّ قِصَارَ مَفْصَلِهِ اللَّطِيفِ، مِنَ الضُّحَى إِلَى آخِرِ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ، مُحَلٌّ عُنَايَةِ
 جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ حِفْظًا؛ لِقِصَرِ آيَاتِهَا، وَعَذُوبَةِ سِيَاقِهَا، وَلِكُلِّ فُضَائِلٍ مَخْصُوصَةٍ، وَمَقَاصِدُ
 مَنْصُوصَةٍ، فَهِيَ حَقِيقَةٌ بِالتَّفَهُمِ، وَجَدِيرَةٌ بِالتَّعَلُّمِ.
 وَهَذَا تَفْسِيرٌ مُخْتَصَرٌ لِلسُّورِ الْمَذْكُورَةِ، يَقْرُبُ تَنَاوُلَهُ، وَيَسْهَلُ تَأْمُلُهُ، قِيْدَتُهُ رَاجِيًا مَنَفَعَتَهُ
 التَّامَّةَ، وَمَلْتَمِسًا بَرَكَتَهُ الْعَامَّةَ، مُسْتَفْتِحًا بِتَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ لِمَا لَهَا مِنْ مَقَامٍ عَظِيمٍ، وَمَنْزِلٍ
 كَرِيمٍ.
 وَاللَّهُ أَسْأَلُ السَّلَامَةَ مِنَ الزَّلَلِ، وَأَتَقَاءُ سُوءَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

**قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :**

أَبْتَدَأَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ كِتَابَهُ بِالْبِسْمَلَةِ، وَالْحَمْدَلَةِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مُحَمَّدٍ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ؛ وَهَؤُلَاءِ الْأَرْبَعُ مِنْ آدَابِ التَّصْنِيفِ اتِّفَاقًا.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ (مَعْرِفَةَ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ، وَالْإِشْرَافَ عَلَى مَكْنُونِ هِدَاةٍ) - أَي: الْإِطْلَاعَ عَلَى مَا أُدْخِرَ فِيهِ مِنَ الْهُدَى، فَأَصْلُ (الْكُنَّ) هُوَ: الْإِدْخَارُ وَالْإِخْفَاءُ -، (هِيَ أَوَّلَى مَا أُدْمِنَ فِيهِ النَّظَرُ) - أَي: أُطِيلَ فِيهِ النَّظَرُ -، (وَحَرَّكَتْ نَحْوَهُ الْفِكْرُ، فَبِهِ تُحْصَلُ النُّفُوسُ رَاحَتَهَا، وَتَحُوزُ الْقُلُوبُ طَمَأْنِينَتَهَا).

فَالْمَنْفَعَةُ الْمَوْجُودَةُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ: مَا يَتَبَوَّأُهُ الْعَبْدُ مِنْ مَقَامٍ حَمِيدٍ، يُدْرِكُ فِيهِ فَضِيلَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: (فَبِهِ تُحْصَلُ النُّفُوسُ رَاحَتَهَا)، فَإِنَّ رَاحَةَ النُّفُوسِ هِيَ مَعْرِفَتُهَا بِمَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّهُ رَبُّهَا الَّذِي خَلَقَهَا، وَغَذَّاهَا بِالنَّعْمِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ كَلَامًا مِنْهُ سَبَّحَانَهُ إِلَيْهِمْ.

وَالْأُخْرَى: فِي قَوْلِهِ: (وَتَحُوزُ الْقُلُوبُ طَمَأْنِينَتَهَا)؛ أَي: تَنَالُ الْقُلُوبُ طَمَأْنِينَتَهَا؛ لِأَنَّ سَبَبَ طَمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ هُوَ أَمْتِلَاؤُهُ بِذِكْرِ اللَّهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وَأَجَلُّ ذِكْرِ اللَّهِ قِرَاءَةَ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

وَمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ مَعْرِفَةَ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُشْرِفُ بِصَاحِبِهَا عَلَى مَكْنُونِ هِدَاةٍ - أَي تَطْلُعُهُ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى - يَشْمَلُ الْهُدَايَتَيْنِ لِلْقُرْآنِ:

إِحْدَاهُمَا: هِدَايَةُ عَامَّةٌ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

وَالْأُخْرَى: هِدَايَةُ خَاصَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ هِدَايَتَهُ الْعَامَّةَ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، وَهِدَايَتَهُ الْخَاصَّةَ لِإِضْاحِ الْمَحْجَّةِ، فَالْقُرْآنُ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ أَيْضًا الْمَوْضِعُ لِلصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالذِّينَ الْقَوِيمِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتؤول منفعة النَّاس بالقرآن إلى انقطاع حُجَجِهِمْ، وأمَّا المؤمنون فإنَّ ما ينالونه من القرآن هو النَّفْع العظيم في مصالح الدُّنيا والآخرة، فلا شيء أنفع لهم من القرآن الكريم في العاجل والآجل.

ثمَّ ذكر أن (قصارَ مفصِّله اللَّطيف، من الضُّحى إلى آخر المصحف الشريف، محلُّ عناية جمهور المسلمين)، وبَيَّن هذه العناية لقوله: (حِفْظًا)، فجمهور النَّاس من أهل الإسلام يحفظون تلك السُّور، وعلَّل ذلك بقوله: (لِقَصْرِ آياتها، وعدوبة سياقها)، فأياتها قصيرة، وسياقها عذب، مع ما اقترن بذلك من فضائل مخصوصة، ومقاصد منصوصة، ذكرها بقوله: (ولكلِّ فضائل مخصوصة، ومقاصد منصوصة).

ثمَّ قال: (فهي حقيقة بالتَّفهُّم)؛ أي: محلُّ معظم الإقبال عليها بالفهم، (وجديرة بالتَّعلُّم)؛ أي: مستقرُّ حميدٍ لطلب العلم في معانيها.

فمعرفة معاني المفصَّل من أعظم ما يُتَنَفَّع به في تفسير القرآن، وأولاه قصارُه؛ لما قدَّم ذكره من كون تلك السُّور هي محلُّ عناية جمهور المسلمين. فمن رام أن يصيب من التَّفْسير حظًا جامعًا أعتنى بطَرَفَيْهِ، وهما: المفصَّل، وسورة البقرة، فإنَّ المفصَّل يجمع جُلَّ ما يتعلَّق بخطاب الشَّرع الخبريِّ، والبقرة تجمع جُلَّ ما يتعلَّق بخطاب الشَّرع الطَّلبيِّ، فمن وعى صَنْعَةَ التَّفْسير بهَذَيْن الطَّرَفَيْن؛ صارت له مُكْنَةُ فيه، وأمكنه أن يبيِّن على تحصيل الَّذي تلقاه عن شيوخه في هَذَيْن الطَّرَفَيْن.

ثمَّ قال: (وهذا تفسيرٌ مختصرٌ للسُّور المذكورة، يَقْرُب تناوله، وَيَسْهُل تأمُّله، قَيَّدَتْهُ راجيًا منفعتَه التَّامَّة، وملتَمِسًا بركتَه العامَّة).

ثمَّ ذكر أنَّه زاد ما لا بدَّ منه من غير المفصَّل، فقال: (مُسْتَفْتَحًا بتفسير الفاتحة لِمَا لها من مقامٍ عظيم، ومنزلٍ كريم)، فالفاتحة لكلِّ خيرٍ فاتحةٌ، وهي ركن الصَّلَاة الأعظم.

ثم ختم بقوله: (والله أسأل السلامة من الزَّلَلِ، وأتقاء سوء القولِ والعملِ).



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة الفاتحة

عن أبي سعيدٍ ابنِ المعلّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أصليّ فدعاني النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أجبه، قلتُ: يا رسول الله؛ إني كنتُ أصليّ، قال: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟»، ثم قال: «أَلَا أَعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟»، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلتُ: يا رسول الله؛ إنك قلتَ: لأَعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ. رواه البخاريُّ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة]، قَالَ: مَجْدَنِي عَبْدِي - وقال مرةً: فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي -، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». رواه مسلم.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنّف وَفَّقَهُ اللَّهُ حديثين عظيمين في بيان فضل الفاتحة.

فالحديث الأول: حديث (أبي سعيدٍ ابنِ المعلّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنّه (قال: كنتُ أصليّ...

الحديث)، وفيه أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف الفاتحة بقوله: («هي السَّبْعُ الْمَثَانِي،

وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»)، فالفاتحة تُسَمَّى السَّبْعُ الْمَثَانِي لأمرين:

أحدهما: يتعلّق بالألفاظ والمباني، فإنَّ بعضها يتبع بعضًا، ويُشَتَّى بعضها على بعضٍ

متتابعًا.

والآخر: يتعلّق بالحقائق والمعاني، فقد أثبت الله فيها أنواعًا متقابلة من البيان؛ كمقابلة

الخبر بالإِنْشَاء، في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، وقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]، ومقابلة صفات الجمال بصفات الجلال، فصفات الجمال في قوله:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، وصفات الجلال في قوله:

﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة]، فوجود هَذِهِ المقابلة بين حقائقها ومعانيها مع ما سلف

لوجود هذا المعنى في ألفاظها ومبانيها، وكونها سبع آيات؛ فإنَّها تُسَمَّى السَّبْعُ الْمَثَانِي.

ووصفها أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: («وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ»)، وهو وصفٌ للفاتحة في

أصحّ القولين، فتقدير الكلام: (هي المقروء العظيم)، ويقوِّيه أنَّ الفاتحة هي أعظم سورةٍ

في القرآن الكريم.

ثمّ ذكر حديث (أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنّه (قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ... الحديث»)، ففيه من

فضل الفاتحة تسميتها: الصَّلَاة، وهو من تسمية كلِّ بجزءٍ منه، فالفاتحة بعض الصَّلَاة،

وأُعْطِيَ هَذَا الجزءُ أَسْمَ كُلِّهِ؛ لجلالة الفاتحة، فهي بمنزلة الصَّلَاة كُلِّهَا.

ووقع في هذا الحديث قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **(«فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»)**

[الفاتحة]، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي**)، أي هذا عهدٌ بيني وبين عبدي، فهذا عقدٌ

للعهد، وقوله: **(«فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾** غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة]، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**؛

أي: وعدًا، ولعبدي ما سأل وفاءً للوعد.

فسورة الفاتحة جامعةٌ بين العهد والوعد، فهو عهدٌ من العبد أن يكون لربه كما يُحِبُّ،

ووعدٌ من الله لعبده أن يكون له كما يُحِبُّ.

وهذا العهد والوعد هو - في الأصح - المقصود بقول أحدنا في سيّد الاستغفار: «وَأَنَا

عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا أَسْتَطَعْتُ»، فإنَّ المذكورَ فيه يتعلّق بعهدٍ ووعدٍ متكرّرٍ، والعهد

والوعد المتكرّر في يومنا وليلتنا ممّا أنْتَظَمَ في خطاب الشَّرْع هو ما يكون في سورة الفاتحة.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ② ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ③ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
 نَسْتَعِينُ﴾ ④ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ⑤ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ⑥ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
 الضَّالِّينَ﴾ ⑦

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أقرأ القرآن: فمقصود المبسمل في فاتحة القراءة هو: بسم الله الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ أقرأ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أقرأ القرآن: فمقصود المبسمل في فاتحة القراءة هو: بسم الله
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أقرأ، فالجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بفعلٍ محذوفٍ مناسبٍ للمقام، مؤخَّرٌ عن
 البسملة، فقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يلحقه فعلٌ مقدَّرٌ مناسبٌ للمقام، والواقع هنا ذكر
 الفاتحة في مقدِّم القراءة، فتكون هي المرادة، فالفعل متعلِّقٌ بها، فقولُك عند ابتداء القرآن
 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ تقديرُه: بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أقرأ القرآن.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

والاسم الأحسن (الله) علمٌ على ربِّنا عَزَّوَجَلَّ، ومعناه: المألوه المستحقُّ لإفراده بالعبادة.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: أَسْمَانِ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، دَالٌّ عَلَى رَحْمَتِهِ؛ فَأَوَّلُهُمَا دَالٌّ عَلَيْهَا حَالٌ تَعَلُّقُهَا بِهِ فِي سَعَتِهَا، وَالْآخِرُ دَالٌّ عَلَيْهَا حَالٌ تَعَلُّقُهَا بِالْخَلْقِ فِي وَصُولِهَا إِلَيْهِمْ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ الفرقَ بينَ أَسْمِ (الرَّحْمَنِ) و(الرَّحِيمِ)، وهو أَنَّ (الرَّحْمَنَ) أَسْمٌ لِلَّهِ حَالٌ تَعَلُّقُ صِفَةِ الرَّحْمَةِ بِذَاتِهِ، وَأَنَّ أَسْمَ (الرَّحِيمِ) أَسْمٌ لِلَّهِ حَالٌ تَعَلُّقُ صِفَةِ الرَّحْمَةِ بِالْمَرْحُومِينَ الَّذِينَ وَقَعَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ، فَهَذَا أَسْمَانِ يَتَعَلَّقَانِ بِصِفَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ الرَّحْمَةُ، لَكِنْ مَعَ جِهَةٍ مُخْتَلِفَةٍ.

ف(الرَّحْمَنُ) يَتَعَلَّقُ بِالرَّحْمَةِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ صِفَةَ الرَّحْمَةِ هِيَ وَصْفٌ لذَاتِهِ عَزَّوَجَلَّ يَدُلُّ عَلَى سَعَتِهَا، و(الرَّحِيمِ) أَسْمٌ لِلَّهِ يَدُلُّ عَلَى صِفَةِ الرَّحْمَةِ بِاعْتِبَارِ تَعَلُّقِهَا بِمَنْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَاخْتَارَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَيْمِ فِي «بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ» وَغَيْرِهِ، وَأَشْرَتْ إِلَى هَذَا بِقَوْلِي:

وَرَحْمَةُ اللَّهِ مَهْمَا عُلِّقَتْ	بِذَاتِهِ فَلِأَسْمِ رَحْمَنٌ ثَبَتَتْ
أَوْ عُلِّقَتْ بِخَلْقِهِ الَّذِي رَحِمَ	فَسَمَّهِ الرَّحِيمَ فَازَ مَنْ سَلِمَ



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

وَأَوَّلُ هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فالحمد هو الإخبار عن محاسن
المحمود مع حُبِّه وتعظيمه، و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ : أَسْمٌ إِضَافِيٌّ، فَالرَّبُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ:
الْمَالِكُ، وَالسَّيِّدُ، وَالْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (أَسْمٌ إِضَافِيٌّ)؛ أي من الأسماء الإلهية المضافة، فَإِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ بِاعْتِبَارِ الْإِفْرَادِ
وَالْإِضَافَةِ تَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ:
أحدهما: أَسْمَاءُ إِلَهِيَّةٌ مُفْرَدَةٌ؛ مِثْلُ: اللَّهُ، وَالرَّحْمَنُ.
وَالْآخَرُ: أَسْمَاءُ إِلَهِيَّةٌ مُضَافَةٌ؛ مِثْلُ: رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَالِكُ الْمَلِكِ، وَعَالَمُ الْغَيْبِ، وَعَالَمُ
الشَّهَادَةِ. ذَكَرَ هَذَا جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ: قَوَامُ السُّنَّةِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ «الْحُجَّةِ»، وَأَبْنُ تَيْمِيَّةَ
فِي «الْفَتَاوَى الْمِصْرِيَّةِ»، وَأَبْنُ بَازٍ فِي بَعْضِ أَجَوِبَتِهِ^(١).



(١) هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَسَاوِي رَحْلَةً؛ لَا أَقُولُ لَمْ يَذْكُرْهَا أَحَدٌ، لَكِنْ لِأَنَّكَ رَبَّمَا تَجِدُ فِي تَقْرِيرَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا
الْبَابِ مِنْ أَنْكَرِهَا، مَعَ أَنَّهَا نَصُوصُ الْأَثْمَةِ وَلَا يَوْجَدُ خِلَافُهَا، فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ مِنْ هَؤُلَاءِ، هَذَا مَنْفَعَةٌ تَكَرَّرَ
الْأَصُولُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَأَنْ تَسْمَعَ شَرْحَهَا مَرَارًا؛ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَحَتَّى الْمَعْلَمُ لَهَا يَنْبَغِي أَنْ يَثْبُتَ عَلَى هَذَا
حَتَّى يُمِيتَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَذَكَرْهَا مِنْ سَمِينًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

والعالمين: جمعُ عالمٍ، وهو أَسْمٌ للأفراد المتجانسة من المخلوقات، فكلُّ جنسٍ منها يُطلق عليه عالمٌ، فيقال: عالم الإنس، وعالم الجنّ، وعالم الملائكة. وربوبيّته عَزَّوَجَلَّ لم تُنتج ظلمًا؛ بل مضمونها العناية بالخلق ورحمتهم، ولهذا وَصَفَ نفسه بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، فهو رَحْمَنٌ وَسَعَتْ رَحْمَتُهُ جميع الخلق، رَحِيمٌ يُوصِلُ رَحْمَتَهُ إِلَيْهِمْ.

ثمَّ أَكَّدَ ربوبيّته بقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وهو يوم الحساب والجزاء على الأعمال، الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) [الانفطار]، وهو يوم القيامة، وَخَصَّه بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ فِيهِ لِلخَلْقِ كَمَا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَمَامَ الظُّهُورِ؛ لَانْقِطَاعِ أَمْلَاكِ الْخَلَائِقِ؛ وَإِلَّا فَهُوَ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (وهو يوم الحساب والجزاء على الأعمال)، الحساب والجزاء حقيقتان متلازمتان، جُعِلتا دليلاً على يوم القيامة، فَإِنَّ الْحِسَابَ دَلِيلٌ عَلَيْهِ بِاعْتِبَارِ مَبْدِئِهِ، وَالْجَزَاءُ دَلِيلٌ عَلَيْهِ بِاعْتِبَارِ مَتْنَاهَا.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ أي: نَخُصُّكَ وحدَك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، وعبادة الله: تأله القلب له بالحب والخضوع، والمأمور به: فيها أمثال خطاب الشرع، والاستعانة به هي: طلب العبد العون منه في الوصول إلى المقصود.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (أي: نَخُصُّكَ وحدَك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا)، هذه الوجدانية المذكورة في طرفي الآية: العبادة والاستعانة؛ مُستفادة من تقديم ما حقه التأخير، فتقدير الجملة: نعبد إِيَّاكَ، ونستعين بك، أو: نعبدُك ونستعين بك، فلمَّا أُريد تقديم الضمير، قيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ لتحصيل المراد المذكور، وهو: إفراده سبحانه بالوجدانية في عبادتنا وأستعانتنا.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾؛ أَي: دُلَّنَا وَأَرْشِدْنَا إِلَيْهِ، وَثَبَّتْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَلْقَاكَ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الْمُتَّبِعِينَ لِلْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿ غَيْرِ ﴾ صِرَاطِ ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، وَهُمْ الْيَهُودُ، وَمَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ عِلْمٍ فِيهِ شَبَهُ مِنْهُمْ، ﴿ وَلَا ﴾ صِرَاطِ ﴿ الضَّالِّينَ ﴾ الَّذِينَ تَرَكُوا الْحَقَّ عَنْ جَهْلِ فَلَمْ يَهْتَدُوا وَضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَهُمْ النَّصَارَى، وَمَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ عِلْمٍ فِيهِ شَبَهُ مِنْهُمْ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْبَيَانِ فِيهَا إِعْلَامٌ أَنَّ الْخَلْقَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ طَائِفَتَانِ:

الْأُولَى: طَائِفَةٌ سَالِكَةٌ لَهُ سَائِرَةٌ عَلَيْهِ، وَهُمْ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالْأُخْرَى: طَائِفَةٌ مَائِلَةٌ عَنْهُ تَارِكَةٌ لَهُ، وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ يَنْشَأُ خَطَايَاهَا مِنْ أَحَدٍ مَوْرِدِينَ:

الْأَوَّلُ: الْعِلْمُ؛ بِتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ،

وَالثَّانِي: الْعَمَلُ؛ بِابْتِدَاعِ عَمَلٍ بِلَا عِلْمٍ.

وَمِنَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ لَهُمْ عِلْمٌ وَلَا عَمَلٌ لَهُمْ: الْيَهُودُ، وَمِنَ الْآخِرِينَ الَّذِينَ لَهُمْ عَمَلٌ بِلَا عِلْمٍ: النَّصَارَى، فَالْيَهُودُ عِلِمُوا وَلَمْ يَعْمَلُوا، وَالنَّصَارَى عَمَلُوا بِلَا عِلْمٍ، ثُمَّ كُلُّ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَيَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْخَطَا؛ أَصَابَهُ مِنَ الْعَدُولِ عَنِ الصِّرَاطِ بِقَدْرِ خَطْئِهِ، فَتَارَةً يَكُونُ خَطْؤُهُ بِتَرْكِ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ، وَتَارَةً أُخْرَى يَكُونُ خَطْؤُهُ مِنَ الْعَمَلِ

بلا علم، قال سفيانُ بن عُيينَةَ: «من ترك العمل بالعلم من علمائنا ففيه شبهٌ من اليهود،
ومن عمل من عبّادنا بلا علم ففيه شبهٌ من النصارى».



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

تفسير سورة الضحى

عن جُنْدُبِ بْنِ سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ قَالَ: أَشْتَكِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَقَمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتْ أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرَبَكَ مِنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾. مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (فلم يَقم ليلتين أو ثلاثًا)؛ أي: لم يكن له حظٌّ من قيام اللَّيْلِ فِيهِمَا، فَانْقَطَعَ عَنْ دَأْبِهِ بِالصَّلَاةِ لَيْلًا لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؛ لِلشَّكْوَى الَّتِي أَعْتَرَتْهُ - أي: لِلْمَرَضِ الَّذِي أَصَابَهُ وَأَحَاطَ بِهِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا نَهَرٌ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَهَرٌ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ [الضُّحَى].

أقسم الله تعالى بالضُّحَى، وهو أَسْمُ ضَوْءِ الشَّمْسِ إِذَا أَشْرَقَ وَارْتَفَعَ، والمراد به هنا النَّهَارُ كُلُّهُ...



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

قوله: (وَالمراد به هنا النَّهَارُ كُلُّهُ)، أي: فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ مُقَابِلًا لِلَّيْلِ، فقال الله:

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾.

ولفظ (الضُّحَى) له في القرآن معنيان:

أحدهما: النَّهَارُ كُلُّهُ؛ إِذَا وَقَعَ مُقَابِلًا لِلَّيْلِ، ومنه هَذِهِ الْآيَةُ، وقوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا

وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٢٩) [النَّازِعَات]؛ أي: نَهَارَهَا.

والآخر: أَوَّلُ النَّهَارِ؛ إِذَا لَمْ يَقَعْ مُقَابِلًا لِلَّيْلِ، ووقَعَ مُقَابِلًا الْعِشْيَةِ؛ ومنه قوله تعالى:

﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عِشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (٤٦) [النَّازِعَات]، ف(الضُّحَى) المُقَابِلُ لِلْعِشْيَةِ هُنَا

هو: أَوَّلُ النَّهَارِ، وَالْعِشْيَةُ: آخِرُهُ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

... وبالليل إذا سكن بالخلق وثبت ظلامه = على أعتائه برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال جواباً للقسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾؛ أي: ما تركك ربُّك، وما أبغضك بإبطاء الوحي وتأخُّره عنك.

وهذا له من ربِّه في الدنيا؛ ثم بشره بما له في الآخرة فقال: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾، فللدار الآخرة خيرٌ لك من دار الدنيا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من مظاهر الإنعام ومقامات الإكرام في الآخرة ﴿فَرَضَى﴾، وإلى هنا تمَّ جواب القسم بمُثَبِّتَيْنِ بعد مَنْفِيَّتَيْنِ.

**قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :**

قوله: (وإلى هنا تمَّ جواب القسم بمُثَبِّتَيْنِ بعد مَنْفِيَّتَيْنِ)؛ أي: بأمرين أثبتنا بعد أمرين نفيًا.

فأما المنفيان:

فالأوَّل: قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾؛ أي: ما تركك. والآخر: في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَلَى﴾؛ أي: وما أبغضك. وأما المثبتان:

فالأوَّل: في قوله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾. والآخر: في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارَضَى﴾.

قال المصنف وفقه الله :

ثم شرع يذكره بما أمتن به عليه في الدنيا فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير؛ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ لا أم لك ولا أب؛ بل مات أبوه وهو حمل، ومات أمه وهو صغير لا يقدر على القيام بمصالح نفسه، ﴿فَأَوَّيَّ﴾ بأن ضمك إلى من يكفلك، وجعل لك مأوى تأوي إليه، فكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات كفله عمه أبا طالب، حتى أيده بنصره وبالمؤمنين.



قال الشارح وفقه الله :

قوله: (فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير)؛ وهو: الاستفهام المطلوب إثبات المعنى المذكور معه.

ويقابله: الاستفهام الاستنكاري؛ وهو: الاستفهام المطلوب إنكار المعنى الذي معه. فإذا كان استفهاماً تقريرياً فهو للإثبات، وإذا كان استفهاماً استنكارياً فهو للنفي.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ﴿فَهَدَى﴾: فدلّك وأرشدك، وأنزل عليك الكتاب والحكمة، وعلمك ما لم تكن تعلم.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فالضلال الذي وُجدَ عليه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المذكور في قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلِكْتُ وَلَا أَلِيمَنُ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي: غافلاً عما يُراد بك من الرسالة، وهو أولى ما بُين به هذا الضلال. فإن أولى تفسير القرآن: أن يكون بالقرآن، ولا سيما إذا اقترن به ما يتعلّق بإرسال القول في أمرٍ يمسُّ مقاماً محذوراً على الخلق، وهو مقام النبوة؛ فإن توسيع الكلام في التعبير عن أفراد الضلال الذي وُجد عليها لنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربّما ولّد في نفس المتكلّم خطأ على مقام النبوة، فلا بيان أكمل من بيان الله فيما يتعلّق بنفسه سبحانه، ولا برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيرًا؛ ﴿فَأَغْنَى﴾ بما ساق إليك من الرِّزْقِ، وَقَنَّعَكَ بِهِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (بما ساق إليك من الرِّزْقِ، وَقَنَّعَكَ بِهِ)؛ فيه بيان ما يحصل به الغنى التَّامُّ، وَأَنَّهُ

مَرَكَّبٌ مِنْ شَيْئَيْنِ:

أحدهما: رِزْقٌ يُحْصَلُ بِهِ الْعَبْدُ مَصَالِحَهُ.

والآخر: قَنَاعَةٌ تَقْطَعُ عَنْ قَلْبِهِ الطَّمَعَ فِيهَا سِوَاهُ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

وَمَنْ آوَاكَ وَهَدَاكَ وَأَغْنَاكَ فَحَقُّهُ مُقَابَلَةٌ نِعْمَتِهِ بِالشُّكْرِ؛ وَمِنْهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي
 قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أَي: لَا تَغْلِبْهُ مُسِيئًا مَعَامِلَتَهُ، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ عَنْ دِينٍ أَوْ دُنْيَا
 ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ أَي: تَزْجِرْ؛ بَلْ أَقْضِ حَاجَتَهُ أَوْ رُدِّهِ بِرَفْقٍ، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ مُخْبِرًا
 عَنْهَا، فَإِنَّ التَّحَدُّثَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ دَاعٍ لَشُكْرِهَا، وَسَبَبٌ فِي مَحَبَّةِ الْقُلُوبِ لِمَنْ أَسَدَاهَا، فَإِنَّ
 الْقُلُوبَ مَجْبُولَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهَا.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

تفسير
سورة الشرح

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾

يقول الله تعالى - ممتنًا على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ * أستفهام
تقرير؛ أي شرحنا صدرك للإسلام، وهو ناشئ عن شرح صدره الحسي، الذي وقع
مرتين:

أولاهما: في صغره لما كان مسترضعًا في بني سعد.

والثانية: ليلة أسري به في مكة بين يدي الإسرائاء.

رواهما مسلم، ووافقه البخاري في الثانية.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنف وفقه الله في هذه الجملة ما يبين ما وقع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شرح

صدره، فإن شرح صدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوعان:

فالنوع الأول: الشرح الجسماني، ومحله جسد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشق صدره

الشريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتين:

أولاهما: في صغره لما كان مسترضعاً في بني سعدٍ.

والأخرى: في كبره ليلة أُسري به إلى بيت المقدس؛ أي: ليلة الإسراء والمعراج.

والنوع الثاني: شرح رُوحانيّ، ومحلّه روح النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بما حُشي به قلبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحقائق الإيمانيّة، والكمالات الدينيّة، فشرح الله صدر النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإسلام والدين الحقّ، فأورثه خيراً له وللناس بعده في الدُّنيا والآخرة.

والشرح الجسائيّ توطئة الشرح الرُّوحانيّ؛ فإنّ الملكين - جبريل ومن معه - لما شقّ صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أستخرجا من قلبه قطعةً هي حظُّ الشَّيْطان منه، ثمّ حَشَيَا قلبه ليلة الإسراء بما حشياه من العلم والإيمان.

وفي حديث النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما شقّ صدره ليلة الإسراء وهو في مكّة قبل ذهابه أنّ قلبه غُسل بماء زمزم، وهذا أصلٌ لطيفٌ في بيان التبرُّك بماء زمزم على وجه الغُسل، ولا أعرفه جاء في شيءٍ من الأحاديث الصّحيحة إلّا في هذه الأحاديث.



قال المصنف وفقه الله:

﴿وَوَضَعْنَا﴾؛ أي حططنا ﴿عَنكَ وَزَرَك﴾ وهو الذنب، ﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾؛ أي أثقل

﴿ظَهْرَكَ﴾.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فأعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن؛ بما أشاع الله من محاسن ذكره بين الناس، وبما نزل من القرآن ثناءً عليه وكرامةً له، وبإلهام الناس التحدث بما جَبَلَهُ الله عليه من المحامد في أول نشأته، ومن أعظم ذلك أن الله قرَنَ ذكره بذكره في الشهادتين، وله في قلوب أمته من المحبة والتعظيم بعد الله تعالى ما ليس لأحدٍ سواه.

وقوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ وهو الشدة ﴿يُسْرًا﴾؛ أي سهولة، والفاء فيه فصيحة، تُفصح عن كلامٍ مُقَدَّرٍ يدلُّ عليه الاستفهام التقريريُّ هنا؛ أي إذا علمت هذا وتقرَّر؛ فاعلم أنَّ اليُسْرَ مصاحبٌ للعُسْرِ، فالعُسْرُ الذي عهدته وعلمته سيجعله الله يُسْرًا، والتَّنْكِيرُ للتَّعْظِيمِ، وفي تكرارها بقوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تأكيدٌ لتحقيق أطراد هذا الوعد وعمومه. ثمَّ أمر الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشُكْرِهِ، والقيام بواجب نِعَمِهِ، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾؛ أي إذا فرغت من عملٍ بإتمامه فأقبل على عملٍ آخر؛ لتعمر أوقاتك كلها بالأعمال الصالحة، ﴿وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ فأعظم الرغبة إليه في مراداتك مُقْبِلًا عليه.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

تفسير سورة التين

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ١ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ٢ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ ٧ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ٨ .

أقسم الله بالشَّجرتين المعروفتين التَّينِ والزَّيْتُونِ فقال: ﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾، مُريدًا منَابَتَهُمَا وهي أرض الشَّام، ثمَّ أقسم بجبل سيناء فقال: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، وهو الجبل الَّذي كَلَّمَ الله فيه موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، و﴿سِينِينَ﴾ لغةٌ في سِينَاء، وهي صحراءٌ بين مصرَ وبلاد فلسطين، ثمَّ أقسم أخرى فقال: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وهو مكة المكرمة لِأَمْنِ النَّاسِ فيها، والإشارة إليه لِلتَّعْظِيمِ، ولأنَّ نزول السُّورَةِ واقعٌ فيه، وهَذِهِ المواضعُ هي مواطن أكثر الأنبياء، فهي أرضُ النُّبُوتِ وَمَهْبِطُ الرِّسَالَاتِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنّف وفَّقَهُ الله في فاتحة بيانه معاني هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّ الله أقسم (بالشَّجرتين المعروفتين التَّينِ والزَّيْتُونِ) (مُريدًا منَابَتَهُمَا وهي أرض الشَّام)، والدَّالُّ على إرادة منَابَتَهُمَا؛ سياقُ الآيات، فإنَّ المذكور في الآية الثَّانية موضعٌ، والمذكور في الآية الثَّالثة موضعٌ،

فَيَكُونُ ذِكْرُ الشَّجَرَتَيْنِ مَقْرُونَتَيْنِ لِلإِعْلَامِ بِمَوْضِعِهَا الَّذِي هُوَ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى، فَإِنْ وُجِدَ فِي غَيْرِهِ فَهُمَا فِي رَتْبَةٍ دُونَ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ هَاتَانِ الشَّجَرَتَانِ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ، وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ، فَانْتَظِمَ فِي صَدْرِ السُّورَةِ ذِكْرُ ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، هِيَ مَوْضِعُ أَكْثَرِ نُبُوءَاتِ الْأَنْبِيَاءِ. وَلَا يُقَالُ فِيهَا: أَرْضُ النُّبُوءَاتِ - دُونَ غَيْرِهَا -؛ لِأَنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ كَانَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْبِلَادِ؛ كَأِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَانَ بِ(بَابِلَ) مِنْ جِهَةِ الْعِرَاقِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ثُمَّ ذَكَرَ جَوَابَ الْقِسْمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، فَسَوَّاهُ اللَّهُ وَعَدَلَهُ، وَفَطَرَهُ عَلَى تَوْحِيدِهِ، ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِنْ كَفَرَ؛ ...



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِنْ كَفَرَ؛ بَيَانٌ أَنَّ مَعْنَى الرَّدِّ فِي الْآيَةِ هُوَ جَعْلُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِنْ كَفَرَ؛ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَقَابَلَةُ الْاِمْتِنَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ أَيَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ فِي أَحْسَنِ تَكْوِينٍ، فَإِنْ عَدَلَ عَنِ التَّقْوِيمِ الْأَحْسَنِ فَإِنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُهُ بِالْجُزَاءِ الْأَسْفَلَ، وَهُوَ الرَّدُّ إِلَى أَسْفَلَ سَافِلِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. فَالْحَامِلُ عَلَى تَفْسِيرِ الرَّدِّ إِلَى أَسْفَلَ سَافِلِينَ عَلَى أَنَّهُ عَلَى مَعْنَى إِدْخَالِهِ النَّارَ إِنْ كَفَرَ؛ هُوَ مَلَا حِظَةَ الْمَقَابَلَةِ بَيْنَ مَا أَمْتَنَ بِهِ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ، وَمَا يُعَاقِبُهُ بِهِ إِنْ أَعْرَضَ عَنْهُ.

والتَّقْوِيمُ الْأَحْسَنُ الَّذِي خُلِقَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: التَّقْوِيمُ الْأَحْسَنُ لَهُ فِي صَوْرَتِهِ الظَّاهِرَةِ، بِمَا جُعِلَ عَلَيْهِ مِنْ صُورَةٍ فِي خَلْقَتِهِ. وَالْآخَرُ: التَّقْوِيمُ الْأَحْسَنُ فِي صَوْرَتِهِ الْبَاطِنَةِ، بِمَا جُعِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْفِطْرَةِ، وَهِيَ مُوَافَقَةُ فِطْرَتِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

... ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يُرَدُّونَ إِلَيْهَا؛ بَلْ جَزَاؤُهُمْ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ
 بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أَيُّ لَهْمُ أَجْرٌ لَا يَشُوبُهُ كَدَرُ الْمَنِّ، وَلَا يَلْحَقُهُ الانْقِطَاعُ،
 وَذَلِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالِّدِينِ﴾ وَهُوَ الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ،
 فَأَيُّ شَيْءٍ يَجْعَلُكَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - مُكَذِّبًا بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْمَنَاهِجِ، وَمَا
 بَشَّرَتْ بِهِ وَأَنْذَرَتْ مِنَ الْجَزَاءِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنْتَ قَدْ خُلِقْتَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ﴿أَلَيْسَ
 اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فِي الْفَصْلِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَمَنْ كَفَرَ؟!



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قال المصنّف في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أَيُّ لَهْمُ أَجْرٌ لَا يَشُوبُهُ كَدَرُ
 الْمَنِّ، كَيْفَ يَأْتَلَفُ هَذَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ أَسْمَائِهِ: الْمَنَّانُ؟
 جوابه: أَنَّ الْمَنَّ بِالنَّعْمَةِ نَوْعَانِ:
 أَحَدُهُمَا: الْمَنُّ لِإِظْهَارِهَا تَفْضُّلاً، وَدَعْوَةِ الْعَبْدِ لَشُكْرِهَا، وَهَذَا يَكُونُ مِنَ اللَّهِ، فَهُوَ الَّذِي
 يَتَفَضَّلُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ.
 وَالْآخَرُ: الْمَنُّ بِهَا لِلِاسْتِعْلَاءِ بِهَا عَلَى الْخَلْقِ، وَهَذَا الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْخَلْقِ مَعَ الْخَلْقِ،
 وَيَكُونُ فِيهِ الْكَدَرُ.

مثلاً: لو أَنَّ أَحَدًا أَتَى الدَّرْسَ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ فَإِذَا لَيْسَ مَعَهُ قَلَمٌ، فَالْتَمَسَ قَلَمًا
 فَأَعْطَاهُ صَاحِبُ إِزَاءِهِ قَلَمًا يَكْتُبُ بِهِ الدَّرْسَ، فَلَمَّا أَنْقَضَى مِنْ كِتَابَتِهِ رَدَّهُ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ، ثُمَّ
 بَعْدَ مَدَّةٍ لَقِيَهُ، فَقَالَ: أَلَا تَذْكُرُ أَنِّي أَعْطَيْتُكَ قَلَمًا تَكْتُبُ بِهِ؟!، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُ هَذِهِ النَّعْمَةَ

مرّةً بعد مرّةٍ، مع قلة هذه النعمة - أنّه كتب وردّ إليه القلم -، فيكون فيها كدرٌ وغصّةٌ
على من تُذكر له هذه النعمة.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

تفسير

سورة العلق

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَغْيَى ۝٦ أَن رَّاهُ اسْتَعْجَى ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ۝٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فليَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝١٩﴾ .

صَدْرُ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ هُوَ أَوَّلُ الْقُرْآنِ نَزُولًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَكَانَ ذَلِكَ فِي غَارِ جَبَلِ حِرَاءٍ بِمَكَّةَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ، فَقَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَهُ فغَطَّهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَهُ فغَطَّهُ الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، فَأَخَذَهُ فغَطَّهُ الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. ثَبَتَ هَذَا فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (وَكَانَ ذَلِكَ فِي غَارِ جَبَلٍ حَرَاءٍ بِمَكَّةَ)؛ مُعْلِمٌ أَنَّ أَسْمَ الْجَبَلِ هُوَ: (جَبَلُ حَرَاءٍ)، وَأَنَّ (الْغَارَ) يُضَافُ إِلَيْهِ، فَقَوْلُهُمْ: (غَارُ حَرَاءٍ)؛ عَلَى تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ، فَأَصْلُهُ: (غَارُ جَبَلِ حَرَاءٍ).

وَأَمَّا جَعْلُ أَسْمِ الْجَبَلِ (جَبَلِ النُّورِ)، وَأَسْمِ الْغَارِ (غَارِ حَرَاءٍ) فَعِلْطٌ مُحْضٌ، فَإِنَّ (حَرَاءً) أَسْمٌ لِلْجَبَلِ كُلِّهِ، وَتَسْمِيَّتُهُ بِـ(جَبَلِ النُّورِ) تَسْمِيَّةٌ حَادِثَةٌ، وَجَعْلُ الْغَارِ مُخْصِصًا بِاسْمِ (حَرَاءٍ) أَحَدَتْ وَأَحَدَتْ، فَهِيَ مِمَّا غَلَبَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَكِلَاهُمَا غِلْطٌ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

فَأَمَرَهُ فِي فَاتِحَتِهَا أَنْ يَقْرَأَ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ، مُسْتَصْحَبًا الْفَهْمَ وَمِلَاحِظَةً جَلَالِهِ، مَأْذُونًا لَهُ، وَقِيلَ لَهُ: ﴿اقْرَأْ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ أَيِ خَلَقَ الْخَلْقَ جَمِيعًا، وَمِنْهُمْ الْإِنْسَانُ، فَإِنَّهُ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، وَالْعَلَقَةُ هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الدَّمِّ الْغَلِيظِ، وَذِكْرُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْقِرَاءَةِ: إِشَارَةٌ إِلَى الْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ، فَمَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيَتْرَكْهُ سُدًى؛ بَلْ سَيَأْمُرُهُ وَبَيْنَاهَا، وَذَلِكَ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ.

**قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :**

فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، وَالَّذِي يَكْثُرُ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الْعَلَقَةُ، وَالْأَصْلُ فِي الْإِنْسَانِ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ عِلْقَةٍ، وَجُمِعَتِ الْعَلَقَةُ بِاعْتِبَارِ جِنْسِ الْإِنْسَانِ الْمُنَاسِبِ لِلْإِنْسَانِ عَلَيْهِ فِي سُورَةِ الْعَلَقِ، فَإِنَّ فَاتِحَةَ سُورَةِ الْعَلَقِ هِيَ لِإِظْهَارِ مَنَّةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَالْمَنَّةُ هِيَ: النِّعْمَةُ الْعَظِيمَةُ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ المتَّصِفُ بغاية الكرم، ومن كرمه عَزَّجَلَّ أَنَّهُ هُوَ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَهُ مِنْ بطن أمِّه لا يعلم شيئاً، وجعل له السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤَادَ، فعلم ما لم يكن يعلمه مِنْ قَبْلُ، ومن أعظم أسبابِ تعليمه القلم، وهو الحِطُّ والكتابةُ.

وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ الظُّلُمَ الْجُهُولَ يطغى متجاوزاً حدَّه، ويُعرض عما أمر به ونُهي عنه إذا رأى نفسه غنياً بما أنعم الله عليه، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ ٦ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى ٧ ﴿.

ثُمَّ تَهَدَّدَهُ وَتَوَعَّدَهُ فَقَالَ: ﴿إِنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾؛ أَيِ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرِ وَالْمَرْجِعِ، وَسَيُجَازِي كُلَّ إِنْسَانٍ بِعَمَلِهِ.

وَمِنْ جَنَسِ الْإِنْسَانِ مَنْ تَسَوَّءَ حَالُهُ فَيُعَارِضُ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ فَوْقَ إِعْرَاضِهِ عَنْهُ، كَمَنْ يَنْهَى عَنِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ ٩، فَتَوَعَّدَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أَيُّهَا النَّاهِي ﴿إِنْ كَانَ﴾ الْعَبْدُ الْمَصْلِيُّ ﴿عَلَىٰ الْهَدَىٰ﴾ ١١ ﴿أَوْ أَمَرَ﴾ غَيْرَهُ ﴿بِالْفَوَىٰ﴾، أَيْسَتَقِيمُ أَنْ يُنْهَى مَنْ هَذَا وَصْفُهُ؟!، أَرَأَيْتَ أَعْجَبَ مِنْ طَغْيَانِ هَذَا النَّاهِي؟!!

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ﴾ النَّاهِي بِالْحَقِّ، ﴿وَتَوَلَّى﴾ فَأَعْرَضَ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، ﴿الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ﴾ عَمَلَهُ؟، فَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مُحِيطٌ بِهِ!، أَفَلَا يَخَافُ اللَّهَ وَيَخْشَى عِقَابَهُ؟!!

وَلَئِنْ لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْوَعِيدِ؛ فَلْيَسَعُهُ التَّهْدِيدُ إِنْ أَسْتَمَرَ عَلَىٰ حَالِهِ: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عَمَّا يَقُولُ وَيَفْعَلُ ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾؛ أَيِ لِنَأْخِذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ - وَهِيَ مُقَدَّمُ شَعْرِهِ - أَخْذًا عَنِيفًا،

فالسَّفْعُ: القبض الشديد بجذبٍ، وأستحقَّته ناصيته لا تصافها بوصفين هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، فهي كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها، ﴿فَلْيَدْعُ﴾ هَذَا الْأَثِيمُ ﴿نَادِيَهُ﴾ وهم أهل مجلسه؛ فَإِنَّا ﴿سَنَدْعُ الزَّانِيَةَ﴾ وهم ملائكة العذاب، ليأخذوه ويعاقبوه، سُمُّوا زبانية لأنَّهم يَزْبُون أهل النار؛ أي يدفعونهم بشدة.

والآيات السابقة نزلت في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصَّلَاة وتهدَّده، روى الترمذي والنسائي في «السُّنَنِ الْكُبْرَى» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ، فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟!، وتوعَّده، فأغلظ له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَهَرَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ بِأَيِّ شَيْءٍ تَهْدِدُنِي؟!، أما والله إِنِّي لَأَكْثَرُ هَذَا الْوَادِي نَادِيًا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) سَنَدْعُ الزَّانِيَةَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ مِنْ سَاعَتِهِ. وَأَصْلُهُ فِي الْبَخَارِيِّ مُخْتَصَرًا.

وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ وَعِيدِ النَّاهِي وَتَهْدِيدِهِ أَتْبَعَهُ بِأَمْرِ الْمَنْهِي - وَهُوَ الْعَبْدُ الْمَصْلِيُّ - أَلَّا يَطِيعَ نَاهِيَهُ، فَقَالَ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ فِيمَا نَهَاكَ عَنْهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِمَا فِيهِ فَلَاحَهُ فَقَالَ: ﴿وَأَسْجُدْ﴾ لِرَبِّكَ ﴿وَأَقْتَرِبْ﴾ مِنْهُ بِالصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ».



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

تفسير

سورة القدر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ

۝ (٣) نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرِ ۝ (٤) سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝ (٥)﴾

يخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَنْ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ، فيقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً، مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَفِي إِسْنَادِ الْإِنْزَالِ إِلَى اللَّهِ تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ لِلْقُرْآنِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (فيقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً، مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا)؛ فِيهِ إِعْلَامٌ بِأَنَّ الْإِنْزَالَ الْمَذْكُورَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَيْسَ هُوَ أَنْزَالُ الْقُرْآنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ إِنْزَالُهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: إِنْزَالُ كِتَابَةٍ، مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

وَالْآخَرُ: إِنْزَالُ تَكْلِيمٍ، وَهُوَ إِنْزَالُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَفْرَقًا حَسَبَ الْحَوَادِثِ وَالْوَقَائِعِ.

والمذكور منها في هذه السورة هو الأول، وسيأتي حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً في ذلك.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ أي الشَّرَفِ العظيم، وهو أَسْمُ جعله الله لليلة التي أنزل فيها القرآن، ولم تكن معروفةً عند المسلمين، فذكرها بهذا الاسم تشويقاً لمعرفة معناها، ولذلك أتبعه بقوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾، فاستفهم عنها تفخيماً لشأنها، وتعظيماً لمقدارها.

قال ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنزل القرآن جملةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣]، وقرأ: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] رواه النسائي في «السُّنَنِ الْكُبْرَى»، وإسناده صحيح.

وهي ليلة مباركة من ليالي رمضان؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣]، وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وسميت ليلة القدر لشرفها، ولأنه يُقدَّر فيها ما يكون بعدها من المقادير كالأجال والأرزاق.

وفي تشریف زمانِ إنزاله تشریفٌ ثانٍ للقرآن يُظهر علوَّ قدره عند الله تعالى.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنّف في تفسير هذه السُّورة أن تعظيم القرآن وقع فيها من جهتين:

الأولى: إسنادُ إنزاله إلى الله في قوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾، فالمنزَّلُ له هو القرآن الكريم.

والأخرى: في تشریفه بالإنزال في زمنٍ معظَّم، هو ليلة القدر، في قوله تعالى: ﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾.

قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ فَضْلِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، فالقيام فيها إيماناً واحتساباً خيراً من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ومجموع مدتها: ثلاث وثلاثون سنة وأربعة أشهر.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قَوْلُهُ: (فَالْقِيَامُ فِيهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)؛
يَشْتَمِلُ عَلَى تَنْبِيهِينَ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْحَيَرَةَ بَيْنَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَبَيْنَ أَلْفِ شَهْرٍ هُوَ مَعَ شَهْرٍ لَيْسَتْ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

وَالْآخَرُ: أَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي عُلِّقَتْ بِهِ خَيْرِيَّتُهَا، هُوَ الْقِيَامُ فِيهَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ أَي: صَلَاةَ اللَّيْلِ فِيهَا.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

وتلك اللَّيْلَةُ هي في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، وأرجاها: أوتارها، وهي باقية في كلِّ سنةٍ إلى قيام الساعة.

ثمَّ ذكر الله فضلاً آخرَ لها في قوله: ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ من السماء، ﴿ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ أي في تلك اللَّيْلَةِ، والروح هو جبريلُ، ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي بأمره ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرِ ﴾ قضاءه الله في تلك السَّنة إلى السَّنة التي بعدها، وتلك اللَّيْلَةُ ﴿ سَلَامٌ ﴾ أي سلامةٌ، والسلامة تشمل كلَّ خيرٍ يتَّصل ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾، فمُبتدؤها: غروب الشمس، ومنتهاها: طلوع الفجر، وفي التعريف بمنتهاها حَتٌّْ على اغتنام فضلها قبل انتهاء وقتها.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير
سورة البينة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَنْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾

كان كفار أهل الكتاب يقولون: سيُبعث فينا رسولٌ، وكان المشركون يقولون لهم إذا دعوهم إلى أتباع اليهودية أو النصرانية: لم يأتنا رسولٌ كما أتاكم، فأخبر الله في هذه السورة عن قولهم مُوبِّخًا، فقال: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾ عن كفَرهم، أي زائلين عما هم عليه، تاركين له، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وهي الحجة الواضحة التي وُعد بها اليهود والنصارى في كتبهم، وتلقفها عنهم المشركون، ثم فسّر تلك البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَنْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ وهو محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي يتلو ما هو مكتوبٌ في صُحفٍ مطهرة، منزّهة عن كلِّ ما لا يليق،

وهي صحفُ الكتابِ المكنونِ في اللّوحِ المحفوظ، ومُتْلُوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها هو القرآن الكريم.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنّف وفّقهُ الله أَنَّ الصُّحُفَ المَطْهَرَةَ المذكورة في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ هي صحف اللّوحِ المحفوظ، فإنّها الموصوفة بِذَلِكَ في خطاب الشّرْع، وغيرها يُسمّى صحفًا طاهرةً.

وتلاوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فيها باعتبار ما أنزل عليه من القرآن الكريم، فإنّ القرآن الكريم مثبتٌ في صحف اللّوحِ المحفوظ، ثمّ أنزل على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان متلوّه من الصُّحُفِ المَطْهَرَةِ هو القرآن الكريم.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

وتلك الصُّحُف ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾ أي مستقيمة، وهي الكتب التي أنزلها الله مع النبيين، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ثم أخبر عن سبب كفر أهل الكتاب فقال: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، وهذه البيِّنة هي بيِّنة أخرى غير الأولى؛ فالبيِّنة هنا: الحجج والآيات التي جاءتهم من قبل، فاختلَفوا فيها وتفرَّقوا عنها، فهي كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ولم يأمرهم هذا الرسول إلا بما أمروا به من قبل في كتبهم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾؛ أي قاصدين بعبادتهم وجهه، فالإخلاص هو تصفية القلب من إرادة غير الله، ﴿حُنَفَاءَ﴾ مُقْبِلِينَ عَلَى اللَّهِ مَائِلِينَ عَمَّا سِوَاهُ، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، وخصَّهما بالذكر لفضلهما وشرفهما.

﴿وَذَلِكَ﴾ المأمور به - من إخلاص الدين وإقامة الصلاة وأداء الزكاة - هو ﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾؛ أي دين الكتب المستقيمة، وهو الإسلام، فلا عُذر لهم في الإعراض عنه.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

قوله: (فالإخلاصُ هو تصفية القلب من إرادة غير الله)؛ أي: في حقيقته الشرعية،

فالإخلاص شرعاً: تصفية القلب من إرادة غير الله، وقلتُ في ضبطه:

إِخْلَاصُنَا لِلَّهِ صَفِّ الْقَلْبِ مِنْ إِرَادَةِ سِوَاهُ فَاحْذَرِ يَا فَطِنُ



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ثمَّ ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهمُ البيِّنة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، والبرية: الخليقة.

وأتبعه بذكر جزاء مُقابلهم؛ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧) ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾؛ أي جنَّاتُ إقامةٍ، لا يتحوَّلون عنها، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ أي من تحت أشجارها وغرفها، على وجه أرضها في غير شقٍّ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، فرضي عنهم بما عملوا من طاعته، ورضوا عنه بما أثابهم به من التَّعيم المقيم، وإنَّ ﴿ذَلِكَ﴾ الجزء الحسن حقٌّ ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾، فلا يناله إلَّا مَنْ كانت هذه صفته، والخشية خوفٌ مقرونٌ بعلمٍ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: في صفة أنهار الجنَّة (على وجه أرضها في غير شقٍّ)؛ أي: في غير حفْرِ ولا أخذودٍ، فأنهار الجنَّة ليست كأنهار الدُّنيا، فأنها الدُّنيا يجري ماؤها في شقٍّ وحفْرِ، وأمَّا أنهار الجنَّة فإنَّها تجري على وجه الأرض بلا أخذودٍ، وهذا هو التَّفسير المعروف عن التَّابعين، ولا يُعرف عمَّن قبلهم، فيُعَوَّل عليه ولا يُعَوَّل على غيره؛ لأنَّ التَّابعين أخذوا معاني القرآن الكريم - كما تقدَّم في «مقدمة أصول التَّفسير» - عن الصَّحابة، فإذا أجمعوا على شيءٍ كان حُجَّةً، ومنه هذا الموضع.

وَيُقَوِّيه حَدِيثُ أَنَسٍ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ذَكَرَ نَهْرَ الْكَوْثَرِ قَالَ: «فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي وَلَمْ يُشَقَّ شَقًّا»، وَالْكَوْثَرُ أَمُّ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَسَائِرُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ تَابِعَةٌ لَهُ فِي وَصْفِهِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير سورة الزلزلة

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاعدٌ، فبكى أبو بكرٍ، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟!»، فقال: أبكتني هَذِهِ السُّورَةُ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَا تُحْطِثُونَ وَلَا تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى أُمَّةً مِنْ بَعْدِكُمْ يُحْطِثُونَ وَيُذْنِبُونَ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ». رواه الطَّبْرَانِيُّ في «المعجم الكبير»، وإسناده حسنٌ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧.

ذكر الله تعالى ابتداء حال الأرض يوم القيامة، فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، فَرُجَّتْ رَجًّا شَدِيدًا، ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وهو ما تثقل به ممَّا في بطنها، فألقته على ظهرها؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ ④ [الانشقاق]، ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ مُسْتَغْظِمًا حالها: ﴿مَا لَهَا﴾؛ أي: ما الذي حدث لها؟، وما عاقبته؟، ولا تكون زلزلتها كلها إلا يوم القيامة.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (ولا تكون زلزلتها كلها إلا يوم القيامة)؛ أي: لا يحدث فيها زلزلة تعم الأرض كلها سوى زلزلة واحدة هي الزلزلة التي تكون يوم القيامة، فالزَّلْزَلَةُ التي تتاب الأرض نوعان:

أحدهما: زلزلة تَتَقَيَّضُ بناحيةٍ من نواحيها، فتكون في جهةٍ دون أخرى، وهي كُلُّ زلزلةٍ قبل يوم القيامة.

والآخر: زلزلة تعم الأرض كلها، وهي الزَّلْزَلَةُ التي تكون يوم القيامة فقط. فالزَّلَازِلُ التي قبل يوم القيامة خاصةٌ، والزَّلْزَلَةُ التي تكون يوم القيامة عامةٌ. والصِّلَةُ بينهما أنَّ الزَّلَازِلَ الخاصَّةَ مقدَّمةٌ للزَّلَازِلِ الكُبرى، ولذلك ثبت في الأحاديث أنَّ من علامات يوم القيامة: كثرة الزَّلَازِلِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الْأَرْضُ ﴿أَخْبَارَهَا﴾ فَتُخْبِرُ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ذَلِكَ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾؛ أَي: أَمَرَهَا أَنْ تُخْبِرَ بِهِ، فَلَا تَعْصِي أَمْرَهُ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ يُقْبِلُونَ إِلَى الْمَوْقِفِ وَالْحِسَابِ ﴿أَشْنَانًا﴾؛ أَي: أَصْنَافًا مُتَفَرِّقِينَ، وَمَقْصُودُ صَرْفِهِمْ: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾؛ فَيُرِيهِمُ اللَّهُ مَا عَمِلُوا مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا، فَلِمُحْسِنِهِمُ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ، وَلِمُسِيئِهِمُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وَهِيَ النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾؛ أَي: يَرَهُ وَيَرِ ثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾؛ أَي: يَرَهُ وَيَرِ عِقَابَهُ فِيهَا.

وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» عَنْ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، قَالَ: «مَا أَبَالِي إِلَّا أَسْمَعَ غَيْرَهَا، حَسْبِيَ حَسْبِي»، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ الْفِعْلِ يَرَهُ فِي الْآيَتَيْنِ قَوْلَهُ: (يَرَهُ وَيَرِ ثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ)، وَقَوْلَهُ: (يَرَهُ وَيَرِ عِقَابَهُ فِيهَا)، وَهُوَ مُعْلِمٌ بِأَنَّ الرُّؤْيَا تَشْمَلُ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: رُؤْيَا الْعَبْدِ عَمَلَهُ.

وَالْآخَرُ: رُؤْيَا جَزَاءِ عَمَلِهِ.

فیری العبد عمله فیما کُتِبَ فی الصُّحف، ثمَّ یری جزاءه بادیًا له من نعيمٍ أو عذابٍ

مقیمٍ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة العاديات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ١ ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾ ٢ ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ٣ ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ ٤ ﴿فَوْسَطُنَ

بِهِ جَمْعًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ٧ ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ

لَشَدِيدٌ﴾ ٨ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ٩ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ١٠ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ

لَخَبِيرٌ﴾ ١١ ﴿

أقسم الله تبارك وتعالى بالخيال الجارية في سبيل الله، فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾؛ أي العاديات عدواً بليغاً قوياً، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في جوفها عند اشتداد عدوها، ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾: الموقدات بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار ﴿قَدْحًا﴾، فتقدح النار ويتوقد شررها من ضرب حوافرهن إذا عدون، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾: المباغيات الأعداء بما يكره ﴿صُبْحًا﴾ فإنهم كانوا لا يغيرون على القوم إذا غزوا إلا بعد الفجر، فتكون الغارة صباحاً، ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ﴾ أي هيجن وأصعدن بعدوهن وغارتهم ﴿نَقْعًا﴾ وهو الغبار، ﴿فَوْسَطُنَ بِهِ﴾ أي توسطن براكبهن ﴿جَمْعًا﴾، وهم الأعداء الذين أغير عليهم.

والقسم بالخيال على تلك الأوصاف لأجل التهويل، وترويع المشركين بما أعد لهم من

الجهاد وآلته.

وجواب القسم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾؛ أي: لكفورٌ لنعمة ربّه، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ الكفر ﴿لَشَهِيدٌ﴾ في فلتات أقواله وأفعاله، فيبدو منه على لسانه وفي تصرّفاتِه ما يتضمّن الشّهادة على نفسه بكفر نعمة ربّه، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ وهو المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي كثير الحبّ له، وحبّه إيّاه حمّله على البخل به، فصيرّه كفورًا.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ وهو المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي كثير الحبّ له... إلى آخر كلامه، فيه تفسير الخير هنا بأنّه: المال؛ لأنّ المال يُسمّى: خيرًا، ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]؛ أي: مالا، وهو من الخير المقيد، المتعلّق بالأمور الدنيويّة، فإنّه يكون خيرًا إذا جُمع من حقٍّ وأُعطي من حقٍّ، ويكون شرًّا إذا جُمع من غير حقٍّ، وأُعطي في غير حقٍّ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال الله تعالى تحذيراً له وتخويفاً: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ هذا الكفور عن عقابه ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾؛ أي: أثير ما فيها، وأخرج الله الأموات منها، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ فجمع وأحصي ما فيها من كمائن الخير والشر، ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾؛ أي مُطَّلِعٌ على أعمالهم، ومجازيهم عليها، وخَصَّ خُبْرَهُ بيوم القيامة حين تُبعثر القبور ويُحصَّل ما في الصدور، مع أنه خبيرٌ بهم في كلِّ وقتٍ = لأنَّ المراد: الجزاء بالأعمال النَّاشئُ عن علم الله بهم وأُطْلِعه عليهم.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

ذكر المصنّف في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾؛ أي مُطَّلِعٌ على أعمالهم، ومجازيهم عليها، فخبّره سبحانه وتعالى هنا يجمع أمرين: أحدهما الاطلاع على العمل. والآخر: الجزاء عليه.

ومن طرائق القرآن أنه يُشار تارةً إلى الجزاءِ بالعلم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، فالمقصود بالعلم هنا علم الجزاء؛ لأنّه لا معنى لاختصاص مجرد إدراك الله سبحانه وتعالى فعلنا هذا، فإنّه يعلم كل شيءٍ منا.

فالمقصود من تخصيصه بالخبر بعلم الله عزّ وجلّ هو الإشارة إلى علم جزائه.

وَهَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠] من الأدلة على أَنَّ النَّذْرَ عِبَادَةٌ ممدوحةٌ مطلوبةٌ في الشَّرْعِ، على الأوصاف الثلاثة الَّتِي ذَكَرْنَاهَا^(١).



(١) في شرح «ثلاثة الأصول وأدلتها».

قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة القارعة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
 كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴿ فَأَمَّا مَنْ
 ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴾ فَأُمُّهُ
 هَاوِيَةٌ ٩﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴿.

القارعة من أسماء يوم القيامة؛ لأنها تَقْرَعُ قلوبَ الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا
 عَظُم شأنها وهَوِّل أمرها بقوله: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
 الْقَارِعَةُ ٣﴾؛ فأي شيء هي هذه القارعة؟، وأي شيء أعلمك بها؟

ثم أخبر عنها فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ ٣﴾ من شدة الفزع والهول، ﴿كَالْفَرَاشِ
 الْمَبْثُوثِ ٤﴾ أي: المنتشر، والفراش: فرخ الجراد حين يخرج من بيضه يركب بعضه بعضاً،
 وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، ﴿وَتَكُونُ
 الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ٥﴾ أي الصُوف ﴿الْمَنْفُوشِ ٦﴾: المتمزق الذي فُرِّقَتْ بعضُ
 أجزائه عن بعضٍ.

وفي ذلك اليوم تُنصَب الموازين، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾ برجحان حسناته على
 سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴾؛ أي حياة مَرْضِيَةٍ في جنّات النعيم، ﴿وَأَمَّا مَنْ
 خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴾ بأن لم تكن له حسنات تُقاوم سيئاته ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴾؛ أي:

مأواه ومسكنه النار، تكون له بمنزلة الأم التي يأوي إليها ويلزمها؛ كما قال تعالى:
﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]؛ أي: مُلازمًا أهلها.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (وفي ذلك اليوم تُنصب الموازين، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾)، تقدّم أنّ الميزان في أصحّ الأقوال هو ميزان واحد، ووقع في القرآن مجموعاً باعتبار تعدّد الموزون فيه، والدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ». رواه البخاريُّ ومسلمٌ من حديث القعقاع بن حكيم عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

وَعَظَّمَ أَمْرَهَا فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَنَكَ مَا هِيَ﴾، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾، أَيِ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ، مِنَ الْوُقُودِ عَلَيْهَا، وَصَحَّ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ حَرَارَتَهَا تَزِيدُ عَلَى حَرَارَةِ نَارِ الدُّنْيَا سَبْعِينَ ضِعْفًا.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

قَوْلُهُ: (مِنَ الْوُقُودِ عَلَيْهَا)؛ أَيِ: الْإِيقَادِ عَلَيْهَا، فَ(الْوُقُودُ) بِالضَّمِّ هُوَ: الْإِيقَادُ، وَ(الْوُقُودُ) بِالْفَتْحِ هُوَ: مَا تُشْعَلُ بِهِ النَّارُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التَّحْرِيمُ: ٦].



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة التكاثر

عن عبد الله بن الشَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي!»، قَالَ: «وَهَلْ لَكَ يَا ابْنُ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ». رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ التَّكَاثُرَ، وَمَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْخَطَأَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْعَمْدَ». رواه أحمد، وإسناده صحيح.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨﴾

يقول الله تعالى - موبِّخاً المشركين ومُحذِّراً عباده المؤمنين -: ﴿الْهَنَكُمُ﴾؛ أي شغلکم عمّا خلقتهم له - وهو عبادة الله - ﴿التَّكَاثُرُ﴾ بينكم؛ وهو التَّفَاخُرُ بالكثرة فيما يُرْغَب فيه من الدُّنْيَا؛ كالنِّسَاءِ، والبنين، والقناطير المُقَنْطَرَةِ من الذَّهَبِ والفضَّةِ، والخيَلِ المُسَوِّمَةِ، والأَنْعَامِ، والحرث، وحَذَفَ المتكاثِّر به ليشمل كلَّ ما يُكَاثِّر به،...



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ما ذكر المصنّف وفّقهُ الله من أعيان المتكاثر به دليله قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فهذه الآية أصلٌ في بيان الأعيان التي يتفاخر الناس بالكثرة فيها.

وهي مأذونٌ في أصلها، والله سُبحانَهُ وتعالى قال: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩] ذمّا لهم، فكيف نقول أنه مأذونٌ بها؟

وجوابه أن الله سُبحانَهُ وتعالى أخبر عن الإذن بها في قوله: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ...﴾، فهو موروثٌ في فطرهم، والمذموم هو أن تكون الشهوة حاكمةً على الإنسان مُسيِّرةً له، وهو المذكور في قوله: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾، فاتّباع الشهوة غيرُ محبةٍ الشهوة في أصل الفطرة.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

... ولم تزالوا على تلك الحال ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾؛ بأن مُتُّم فِدْفِيتُمْ فيها، وصِرتم إليها، وإنَّا جعل المقام في البرزخ زيارةً لأنَّ المقصودَ منه: النُّفُوزُ إلى الدَّارِ الآخِرَةِ، فجعلهم الله زائرين لا مقيمين، والبعث والجزاء يكونان في تلك الدَّارِ، ولهذا توعَّدَهُم بقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ٢ ثمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ سوءَ عاقبةٍ تكاثركم وتشاغلکم عن عبادة ربِّكم، وكرَّرَ الجملةَ مبالغةً في التَّهْدِيدِ، وزيادةً تأكيدٍ في تحقُّقِ الوعيد.

ثمَّ زجرهم عن غيِّهم مرَّةً أخرى فقال: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾؛ أي: لو تعلمون علمًا ثابتًا في القلب ما تستقبلون بعد الموتِ لما أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ عن عبادة الله. ثمَّ أقسم الله فقال: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾، والجملة جوابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ تقديره: والله لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ، ثمَّ أَكَّدَ الْقَسَمَ بِقَسَمٍ آخَرَ فقال: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾؛ أي عيانًا بأبصاركم؛ وَذَلِكَ قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ٧١ [مريم]، فإذا رأيتُموها سُئِلْتُمْ حينئذٍ عَنِ النَّعِيمِ؛ وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾؛ أي فَلْيَسْأَلَنَّكُمْ اللَّهُ عَمَّا تَنْعَمْتُمْ به في دار الدنيا، أشكرتم أم كفرتم؟



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ فيما سلف من كلامه بيانَ ما يتعلَّقُ بمرتبتين من مراتب الإدراك، فإنَّ مراتب الإدراك الَّتِي ذُكِرَتْ في القرآن ثلاثٌ:

- الأولى: علم اليقين؛ وهو: العلم الثَّابِت في القلب.
- والثَّانية: عين اليقين؛ وهو: العلم المشاهد المُدْرَك بالحسِّ.
- والثَّالثة: حقُّ اليقين؛ وهو: العلم النَّشِئ عن الوصول إلى المعلوم.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

عن عبد الله بن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال الزبير: يا رسول الله؛ وأي النعيم نسأل عنه، وإنهما الأسودان التمر والماء؟! قال: «أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ». رواه الترمذي بسندٍ حسنٍ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكرٍ وعمر، فقال: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟!»، قالوا: الجوعُ يا رسول الله، قال: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرِجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟»، قالت: ذهب يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه، ثم قال: الحمد لله، ما أحدُ اليومِ أكرمَ أضيافاً مني، قال: فانطلق فجاءهم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فقال: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وأخذ المِثْدِيَةَ، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ»، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذَلِكَ الْعِذْقِ، وشربوا، فلما أن شَبِعُوا وَرَوُوا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكرٍ وعمر: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ». رواه مسلم.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة العصر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾.

أستفتح الله هذه السُّورة بالقسم فقال: ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وهو الوقت المعروف آخر النهار قبل غروب الشمس؛ والمقسم عليه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ فكلُّ النَّاسِ في خسرٍ؛ أي هَلَكَةٍ ونقصانٍ، ثمَّ أَسْتَشْنَى من الخُسْرِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بأربع صفاتٍ هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. فالصفة الأولى: الإيمان، وإِنَّمَا يُدْرِكُ أَصْلُهُ وَكَمَالُهُ بِالْعِلْمِ.

والثانية: العمل الصَّالح.

وبهـمَا يُكَمِّلُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ.

والثالثة: التَّوَاصِي بِالْحَقِّ، يَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ.

والرَّابِعة: التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.

وبهـمَا يُكَمِّلُ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

قوله في تفسير (العصر): (وهو الوقت المعروف آخر النهار قبل غروب الشمس)؛ داعيه التَّرجيح بواحدةٍ من قرائن التَّرجيح، فإنَّ المعاني المشتركة في كلمات القرآن الكريم يرجَّحُ واحدٌ منها على آخرٍ بقرينةٍ؛ منها: لغة القرآن والسُّنة. ذكره ابن تيمية الحفيد في «مقدمة أصول التفسير».

و(العصر) في لغة الشرع إذا أُطلق يُراد به هَذَا المعنى: الكائنُ آخر النهار، ومنه سُمِّيَت الصَّلَاةُ الَّتِي فِيهِ: صلاةَ العصر، إضافةً إليه.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

تفسير

سورة الهمزة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ۝٨ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ ۝٩﴾ .

هَذِهِ السُّورَةُ مُسْتَفْتَحَةٌ بِالْوَعِيدِ، فَفَاتَحْتُهَا: ﴿وَيْلٌ﴾ كَلِمَةً وَعِيدٍ وَتَهْدِيدٍ، تَتَضَمَّنُ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ بِسُوءِ الْحَالِ؛ لِتَعْدِيَّتِهَا بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَيْلٌ لَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَهْمَزُ النَّاسَ بِفِعْلِهِ، وَيَلْمِزُهُمْ بِقَوْلِهِ، فَالْهَمَّازُ: مَنْ يَعِيبُ النَّاسَ، وَيَطْعُنُ عَلَيْهِمْ بِالْإِشَارَةِ، وَاللَّمَّازُ: مَنْ يَعِيبُهُمْ بِقَوْلِهِ وَيَطْعُنُ عَلَيْهِمْ بِالْعِبَارَةِ. وَالْهُمَزَةُ وَاللُّمَزَةُ وَالْهَمَّازُ وَاللَّمَّازُ لِلْمَبَالِغَةِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ فِي فَاتِحَةِ هَذِهِ السُّورَةِ أَنَّ كَلِمَةَ (وَيْلٌ): (كَلِمَةٌ وَعِيدٍ وَتَهْدِيدٍ)، وَهُوَ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْهَا فِي لِسَانِهَا.

وَلِلْعَرَبِ خَمْسُ كَلِمَاتٍ اتَّفَقَتْ فِي وَزْنِهَا وَمَعْنَاهَا، وَيُرَادُّ بِهَا التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ:

أَوَّلُهَا: وَيْلٌ.

وثانيها: وَيُح.

وثالثها: وَيُك.

ورابعها: وَيُس.

وخامسها: وَيَب.

فهؤلاء الكلمات الخمس كلهن للتهديد والوعيد، ولا سادس لهن. ذكره ابن خالويه في

كتابه «ليس»، وعقدته نظماً بقولي:

وَيْلٌ وَوَيْحٌ ثُمَّ وَيُكُّ وَيُسُّ وَيَبُّ لِتَهْدِيدٍ تُقَالُ الْخَمْسُ
والحديث المرويُّ أَنَّ (ويلاً) وادٍ في جهنم لا يصحُّ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ومن صفته حرصه على جمع المال وتعييده؛ فذكره الله به فقال: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾، وهو لشدة ولعه بماله ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ فأبقاه في الدنيا؛ لأنَّ الخلود فيها أقصى أمانيه؛ إذ لا يؤمن بحياة أخرى.

ثمَّ توَعَّده الله بأنَّ الأمر على خلاف ظنه، فما ماله بمُخْلَدِهِ، وإنَّ الله مُعَاقِبُهُ، فقال: ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ﴾، وهو جواب قَسَمٍ محذوف؛ أي والله ليُطْرَحَنَّ ﴿فِي الْحُطْمَةِ﴾ التي تَحْطُمُ ما يُلقى فيها وتهشمه، ثمَّ هَوَّلَ شأنها وعظَّمه في قوله: ﴿وَمَا آذَرْنَاكَ مَا الْخُطْمَةُ﴾، ثمَّ فسَّرها بقوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾؛ أي المُسَعَّرَةُ المُشْعَلَةُ بالنَّاسِ والحجارة، ﴿الَّتِي﴾ من شدَّتها ﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ﴾؛ فتنفذ من الأجساد إلى القلوب فتُحْرِقُها، وألم حرق القلوب أشدَّ من ألم غيرها لِلطَّفِها.

وأهلها محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها؛ لما أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّاةٌ﴾؛ أي مُغلقةٌ عليهم، وهم يُعَذِّبون فيها، ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾؛ أي أعمدة طويلة.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (وَأَلَمُ حَرِّ الْقُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ أَلَمِ غَيْرِهَا لِلطَّفِها)؛ أي: أَنَّ أَلَمَ الَّذِي يَصِلُ إِلَى الْقَلْبِ إِذَا بَلَغَتْهُ النَّارُ يَكُونُ أَشَدُّ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِلطَّفِ الْقَلْبِ، فَهُوَ جِرْمٌ لَطِيفٌ يَتَأَذَّى بِالنَّارِ الْحَارِقَةِ أَكْثَرَ مِنْ تَأَذِّي بَاقِي بَاطِنِ الْبَدَنِ.

وقوَى تخصّصه بالعذاب كونه مبدأ الفكر والإرادة التي أوقعت العبد باستحقاق العذاب.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة الفيل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ

طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ .

ذكر الله تعالى في هذه السورة خبر أصحاب الفيل، وباشر بالمخاطبة بها الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقوية له وتثبيتاً؛ بإظهار قدرة ربّه الذي أرسله؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾؛ وهو أَسْتَفْهَامٌ تقريرِيٌّ؛ أي أَمَا

عَلِمْتَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ؟، الَّذِينَ كَادُوا بَيْتَهُ وَأَرَادُوا هُدْمَهُ، فَجَعَلَ سَعْيَهُمْ

وَمَا دَبَّرُوهُ مِنْ شَرٍّ فِي تَضْيِيعٍ؟!، وَهُمْ الْحَبَشَةُ الَّذِينَ جَاءُوا مَكَّةَ غَزَاةً مُّضْمِرِينَ هَدْمَ

الْكَعْبَةِ؛ أُنْتَقَامًا مِنَ الْعَرَبِ، فَإِنَّ مَلِكَهُمْ أَبْرَهَةَ بَنَى كَنِيسَةً عَظِيمَةً سَمَّاها (الْقَلَيْسَ)، وَأَرَادَ

أَنْ يَصْرِفَ حَجَّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَأُحْدِثَ فِيهَا تَحْقِيرًا لَهَا؛ لِيَتَسَامَعَ الْعَرَبُ

بَذَلِكَ فَتَهُونَ عَلَيْهِمْ، فَغَضِبَ أَبْرَهَةُ وَعَزَمَ عَلَى غَزْوِ مَكَّةَ لِيَهْدِمَ الْكَعْبَةَ، فَجَهَّزَ جَيْشًا

عَظِيمًا لَا قِبَلَ لِلْعَرَبِ بِهِ، وَأَسْتَصْحَبَ مَعَهُ الْفِيلَ لِهْدْمِهَا، فَلَمَّا وَصَلُوا قُرْبَ مَكَّةَ خَرَجَ أَهْلُ

مَكَّةَ مِنْهَا خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَحَبَسَ اللَّهُ الْفِيلَ، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾؛ أي

جَمَاعَاتٍ مُّتَابِعَةً مُّتَفَرِّقَةً، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: تَقْذِفُهُمْ بِحَصَى صَغِيرَةٍ مِنْ

سِجِّيلٍ، وَهُوَ الطِّينُ الْمُتَحَجَّرُ، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾؛ أي مَحْطَمِينَ كَبَقَايَا الزَّرْعِ

الَّذِي دَخَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَأَكَلَتْهُ، وَدَاسَتْهُ بَأَرْجُلِهَا، وَطَرَحَتْهُ عَلَى الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ أَخْضَرَ
يَانِعًا، وَكَانَ هَذَا عَامَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (وكان هذا عام مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ أي: قارن وقوع الحادثة مولد النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي تلك السنة التي حدثت كائنة الفيل وقُدومُ جيش الحبشة وُلِدَ النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَجُعِلَتْ تِلْكَ الْوَاقِعَةُ تَوْطئةً لِمِيلَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَحْفَظَهُ الْعَرَبُ، فَإِنَّ الْعَرَبَ
تَحْفَظُ تَوَارِيخَ سِنِيهَا بِمَا يَقَعُ مِنَ الْحَوَادِثِ فِيهَا، فَيُؤَرِّخُونَ تَارَةً: بِقَوْلِهِمْ عَامَ الْفِيلِ، وَتَارَةً:
يَوْمَ ذِي قَارٍ - أي: سنة ذِي قَارٍ، إِلَى آخِرِ مَا عُرِفَ مِنْ أَعْوَامِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهِمْ قَدِيمًا
وَحَدِيثًا، فَلَمَّا اقْتَرَنْتْ وَلَادَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَادِثَةِ الْفِيلِ حُفِظَتْ، وَعُرِفَتِ الْعَرَبُ السَّنَةُ
الَّتِي وَلِدَ فِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

تفسير سورة قريش

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١﴾ إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

۝٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾.

هَذِهِ السُّورَةُ مَفْرَدَةٌ فِي قَبِيلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمًا لَهُ وَلَهُمْ، وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ فِي

صَدْرِهَا ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ متعلِّقٌ بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، ودخلت

عليه الفاء لما في الكلام من إرادة الشرط؛ إذ معناه: إِنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا تُحْصَى، فَإِنْ لَمْ

يَعْبُدُوهُ لِأَجْلِ رُبُوبِيَّتِهِ الْمَظْهَرَةِ بِنِعْمِهِ فَلْيَعْبُدُوهُ لِأَجْلِ إِيْلَافِهِمْ؛ أَيِ مَا لَزَمُوهُ وَأَعْتَادُوهُ مَعَ

الْأُنْسِ بِهِ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، وَهِيَ رِحْلَةُ تِجَارَتِهِمْ فِي

الشِّتَاءِ لِلْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ لِلشَّامِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قَوْلُهُ: (وَهِيَ رِحْلَةُ تِجَارَتِهِمْ فِي الشِّتَاءِ لِلْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ لِلشَّامِ)؛ لِمُلَائِمَةِ الْحَالِ لَذَلِكَ

الْإِرْتِحَالِ، فَكَانُوا يَتَخَيَّرُونَ أَنْ يَذْهَبُوا بِتِجَارَتِهِمْ إِلَى الشَّامِ فِي الصَّيْفِ؛ لِأَجْلِ بَرُودَتِهَا،

وَيَتَخَيَّرُونَ ذَهَابَهُمْ بِتِجَارَتِهِمْ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ؛ لِأَجْلِ دَفْئِهَا.

والمراد بـ(اليمن) هنا: اليَمَنُ الأسفلُ، وهو إقليم تهامة^(١) الذي يمتدُّ اليوم بين هَذِهِ البلاد وبين جارتها الجمهورية اليمنية.



(١) و(تهامة) بالكسر، وضابط حفظها: أَنَّ تهامة هي المنخفض من الأرض، والخفضُ حركته الكسر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

وَأَخَّرَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ أَعْتَنَاءَ بِمَا قَدَّمَ فَقَالَ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، وَخَصَّه بِالرُّبُوبِيَّةِ لِفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ، ثُمَّ أَبْرَزَ بَعْضَ مَا طَوَاهُ قَبْلُ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمُ الْمَوْجِبَةِ عِبَادَتِهِ؛ فَقَالَ: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ فَرَزَقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَهَيَّأَ لَهُمْ أَسْبَابَ التِّجَارَاتِ، ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ فَصَيَّرَ بِلَدَهُمْ حَرَمًا آمِنًا، وَأَعْظَمَ قُدْرَهُمْ عِنْدَ الْخَلْقِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ أَحَدٌ بِسَوْءٍ؛ لِأَنَّهُمْ جِيرَانُ الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ.

فَانْتِظَامُ سِيَاقِ مَعَانِيهَا فِي وَضْعِ الْكَلَامِ: لِتَعَبُّدِ قَرِيشٍ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ؛ لِمَا أُنْعِمَ عَلَيْهِمْ فِي رَحَلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَأَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَقَّهَ اللَّهُ:

تفسير

سورة الماعون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى في ذم من ضيع حقه وحقوق عباده: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾، وهو الحساب والجزاء على الأعمال، والاستفهام للتعجب من حالهم، وما أورثهم تكذيبهم من سوء الصنيع، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾؛ أي: فهو ذلك الذي يدفع اليتيم بعنفٍ وشدةٍ، ويمنعه حقه؛ لغلبة قلبه، وتكذيبه جزاء ربّه، ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ غيره - والحض: الحث - ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، وأحرى به أنه لا يطعمه بنفسه لمحبتة المال وبخله به.

ثم توعد صنفاً من المصلين هم المنافقون، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ أي: لاهون، فلا يؤدونها في وقتها، ولا يقيمونها على وجهها. وفي «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ: يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ قَامَ فَفَقَّرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا».

والسَّهْوُ عَنِ الصَّلَاةِ هُوَ الْمُسْتَشْنَعُ الْمَذْمُومُ، وَأَمَّا السَّهْوُ فِيهَا فَيَقَعُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ؛ لِأَنَّهُ
وَارِدٌ قَلْبِي لَا اخْتِيَارَ لِلْعَبْدِ فِيهِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ آخِرًا يَبَيِّنُ أَنَّ السَّهْوَ الْمُتَعَلِّقَ بِالصَّلَاةِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: سَهْوٌ فِي الصَّلَاةِ؛ وَهُوَ: ذَهُولُ الْقَلْبِ عَنْ مَعْلُومٍ فِيهَا؛ بِالنَّقْصِ، أَوْ الزِّيَادَةِ، أَوْ
الشَّكِّ.

وَالْآخَرُ: سَهْوٌ عَنِ الصَّلَاةِ؛ وَهُوَ: الْغَفْلَةُ عَنْهَا لِعَدَمِ أَدَائِهَا فِي وَقْتِهَا وَتَرْكِ إِقَامَتِهَا عَلَى
وَجْهِهَا.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْأَوَّلَ يُعْذَرُ فِيهِ الْعَبْدُ، وَأَمَّا الثَّانِي مَذْمُومٌ يَنْهَى عَنْهُ الْعَبْدُ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ثُمَّ وَصَفَهُم بِالرِّيَاءِ وَالْحَرَصِ عَلَى الدُّنْيَا، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾: فَيُظْهِرُونَ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ لِيَرَاهَا النَّاسُ؛ فَيَحْمَدُوهُمْ عَلَيْهَا، ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾: أَي: يَمْنَعُونَ النَّاسَ مَنَافِعَ مَا عِنْدَهُمْ؛ كَالزَّكَاةِ وَمَا لَا تَضُرُّ إِعَارَتَهُ، مِمَّا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى عَمَلِ الْبَيْتِ مِنْ آنِيَةٍ وَآلَةٍ؛ وَمِنْهَا الْقِدْرُ وَالْدَّلْوُ وَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِذَلِكَ؛ لَشِدَّةِ حَرَصِهِمْ عَلَى الدُّنْيَا وَشُحِّهِمْ بِهَا، فَلَا هُمْ أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ، وَلَا هُمْ أَحْسَنُوا مَعَامِلَةَ خَلْقِهِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ : (الْيَمَنُ)

قَوْلُهُ: (فَيُظْهِرُونَ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ لِيَرَاهَا النَّاسُ؛ فَيَحْمَدُوهُمْ عَلَيْهَا)؛ تَفْسِيرٌ لِحَقِيقَةِ الرِّيَاءِ، فَإِنَّ الرِّيَاءَ هُوَ: إِظْهَارُ الْعَبْدِ عَمَلَهُ لِيَرَاهُ النَّاسُ فَيَحْمَدُوهُ عَلَيْهِ. وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صِنْوِهِ التَّسْمِيعِ: أَنَّ الرِّيَاءَ آلَتُهُ الرُّؤْيَةُ بِالْعَيْنِ، وَأَمَّا التَّسْمِيعُ فَآلَتُهُ السَّمْعُ بِالْأُذُنِ، وَفِي حَدِيثِ جَنْدَبٍ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَأَى رَأَى اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ».



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة الكوثر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ وَأُنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

أَمَنَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ

الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ وَهُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ يَشْخُبُ مِيزَابَانِ يُصْبَّانِ فِي حَوْضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَرَصَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا؛ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟،

قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةُ سُورَةٍ»، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ

﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأُنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَتَذَرُونَّ مَا

الْكَوْثَرُ؟»، فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ،

هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَيْنُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ

إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتُ بِعَدَاكَ».



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (وهو نهْرٌ في الجنة، ومنه يشْخُب ميزابان يصبَّان في حوض النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

في عَرَصات يوم القيامة)؛ صحَّ هَذَا الوصف عند مسلمٍ في «صحيحه».

وقوله: (يشْخُب)؛ الشَّخْب هو: الجري بانحباسٍ وشِدَّةٍ، ومنه شخْب الحليب إذا أريد

إخراجه من ضرع بهيمة الأنعام، فَإِنَّه يخرج شخْبًا؛ أي: بانحباسٍ وشِدَّةٍ.

وذكر المصنِّف تفسير الكوثر بنهرٍ في الجنة لما جاء في ذَلِكَ من الأحاديث الصَّحاح،

ومنها ما ذَكَرَ، وهو أحسن من القول الآخر: أَنَّهُ الخير الكثير، وإن كان الخير الكثير أعمَّ،

فإن من أفراد الخير: النَّهر، لَكِنْ تفسير الآيات بالنَّهر أصَحُّ لأمرين:

أحدهما: أَنَّ الخير الكثير في الجنة هو فضل الله على كُلِّ أهلها - جعلنا الله وإيَّاكم

منهم -، فلا يختصُّ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان يحظى بما لا يحظى به غيره من أنواع

النَّعيم.

والآخر: أَنَّهُ أبين في الامتنان عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأن يكون له ما ليس لغيره.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

ولما ذكر مَنِّته عليه؛ أمره بشكرها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾؛ أي: أخلص صلاتك كلها لربك، وأجعل ذبحك له وعلى اسمه وحده، وخص هاتين العبادتين بالذكر لفضلهما، فالصلاة تتضمن خضوع القلب والجوارح لله، والنحر يتضمن التقرب إليه بسفك الدَّم من النَحَائِرِ المشتمل على سماحة النفس بالمال.

ثم ذكر من مَنِّته عليه أيضاً خسار شائئه، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي مُبْغَضَكَ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المقطوع من كل خير.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

قوله: (فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾؛ أي مُبْغَضَكَ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المقطوع من كل خير)؛ فكل من أبغض شيئاً يتعلّق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجزاؤه قطع الخير، والذي يتعلّق به بغض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئان:

أحدهما: بغض شخصه.

والآخر: بغض هديه.

فكلاهما ما يُعَاب ويُلَام العبد عليه ويُنْهَى عنه، فإننا أمرنا بحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شخصه؛ لما أمتنَّ الله عزَّ وجلَّ عليه وعلينا بجعله رسولاً من الله إلينا، وأمرنا أن نتبع هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن نطيعه، ف قيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

[النساء: ٥٩]، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

وروى النسائي في «السُّنَنِ الْكُبْرَى» عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ قَالَتْ لَهُ قَرِيشٌ: أَنْتَ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ؟، قال: نعم، قالوا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُتَبَتِّرِ مِنْ قَوْمِهِ؟، يزعم أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا وَنَحْنُ - يَعْنِي أَهْلُ الْحَجِيجِ، وَأَهْلُ السَّدَانَةِ! - قال: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، فنزلت ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، ونزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١-٥٢]. وإسناده صحيح.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة الكافرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

أمر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنْ يُبَلِّغَ الْكَافِرِينَ أَمْرًا عَظِيمًا؛

فَقَالَ: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الْبَاقُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ مَنْ
الْأَلَهَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا أَنِّي لَا أَعْبُدُهَا الْآنَ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ حَالِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، وَهُوَ اللَّهُ الْمُسْتَحَقُّ وَحْدَهُ

لِلْعِبَادَةِ، فَعِبَادَتُكُمْ إِلَآهَ وَأَنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً، ثُمَّ كَرَّرَ بَرَاءَتَهُ مِنَ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ:

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الثَّبَاتِ، وَتَأْيِيسِهِمْ مِنْ عِبَادَتِهِ لَهَا، وَأَخْبَرَ عَنْ تَحَقُّقِ

تَكْذِيبِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ صَارَ وَضْفًا لَازِمًا

لَهُمْ: أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

فَلِكُلِّ دِينِهِ الَّذِي رَضِيَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾؛ أَي: لَكُمْ دِينُكُمْ الَّذِي

رَضَيْتُمُوهُ وَهُوَ الشِّرْكَ، وَلِيَ دِينِي الَّذِي رَضِيَهُ لِي رَبِّي وَهُوَ الْإِسْلَامُ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

بَيَّنَّ المصنِّفَ الفرق بين الإضافتين في قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، فَإِنَّ اللَّهَ أَضَافَ للمُشْرِكِينَ دِينًا وَأَضَافَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينًا، وحذفت ياء الإضافة عند جمهور القراء، وقرأ يعقوب بالإضافة: ﴿وَلِيَ دِينِي﴾.

والفرق بين الإضافتين: أَنَّ دِينَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمَلَهُ عَلَيْهِ الْهُدَى فَاتَّبَعَهُ، أَمَّا دِينَ الْمُشْرِكِينَ فَحَمَلَهُمْ عَلَيْهِ الْهُوَى فَاحْتَمَلُوهُ، فَدِينَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْيٌ، وَدِينَ أَوْلَئِكَ نِتَاجُ الْأَهْوَاءِ وَاتِّبَاعُ الشَّيَاطِينِ.

ومقصود هَذِهِ السُّورَةِ أَمْرَانِ:

أحدهما: إِبْطَالُ دِينِ الْمُشْرِكِينَ.

والآخر: تَأْيِيسُهُمْ مِنْ مَوَافَقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ، فَهُوَ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ لَا أَمَلَ أَنْ يُوَافِقَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ.

فَإِذَا كَانَ هَذَانِ الْأَمْرَانِ هُمَا مَقْصُودُ السُّورَةِ؛ فَإِنَّ الْآيَةَ الْآخِرَةَ تَكُونُ لِإِعْلَانِ الْبَرَاءَةِ لَا لَطَلْبِ الْإِخْتِيَارِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾؛ أَي: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِي، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ دِينِكُمْ كَمَا أَنَّكُمْ بَرِيئُونَ مِنْ دِينِي.

وَمِنْ الْفُهْمِ السَّقِيمَةِ بِأَخْرَجِهِمْ أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى الْإِخْتِيَارِ، بِأَنَّ لِكُلِّ أَحَدٍ دِينَهُ، وَيَعْبُرُونَ عَنْهُ بِقَوْلِهِمْ: أَنَّ اللَّهَ كَفَلَ بِهَذِهِ الْآيَةِ حُرِّيَّةَ الْإِخْتِيَارِ فِي الْإِسْلَامِ أَوِ الْكُفْرِ = وَهَذَا قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بَغِيرِ عِلْمٍ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَيْسَتْ لِتَرْكِ الْإِخْتِيَارِ لِلخَلْقِ أَنْ يَخْتَارُوا إِسْلَامًا أَوْ كُفْرًا، فَالْآيَةُ فِي بَيَانِ الْبَرَاءَةِ مِنْ دِينِ الْمُشْرِكِينَ، وَلِزُومِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

تفسير
سورة النصر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا

﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾﴾.

تضمنت هذه السورة بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإشارة عند حصولها، وأمرًا.

فالبشارة هي البشارة بنصر الله له على الكافرين، ووقوع فتح مكة، ودخول الناس في

دين الله أفواجًا - أي: جماعاتٍ تلو جماعاتٍ -، وذلك في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ

وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

وأما الإشارة والأمر فهي الإشارة إلى دنو أجله صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾، فإنَّ عمره صلى الله عليه وسلم عُمرٌ فاضلٌ أقسم الله به،

والأمور الفاضلة تُختَم بالاستغفار؛ كالصلاة والحج، فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن

يُسَبِّحَ مع حمده ويستغفره؛ فيه إشارة إلى أنقضاء عمره صلى الله عليه وسلم؛ ليتهيأ للقاء ربه.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذكر المصنّف وفّقهُ الله أنّ هذه السُّورة مشتملةٌ على الإشارة إلى دنو أجلٍ لنبيٍّ

صلى الله عليه وسلم. أستنبط هذا المعنى عمر بن الخطّاب وأبن عبّاسٍ في حديثٍ طويلٍ في

«الصّحيحين».

فتكون وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وميلاده جاءتا في قصار المفصل؛ فميلاده جاء في سورة الفيل، ووفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءت في سورة النصر، وأشارت إلى ذلك بيت وهو:

رسولنا ميلاده في الفيل وموته في النصر في التنزيل
فهاتان السورتان فيها ميلاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفاته، وهذا من دلائل ما ذكرتُ
لكم: أن المفصل يشتمل على عظم ما يتعلق بالحكم الشرعي الخبري.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ يُوفِّقُ الْخَلْقَ لِلتَّوْبَةِ وَيَقْبَلُهَا مِنْهُمْ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ، وَيُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ ﴿تَوَّابًا﴾ قَوْلَهُ: (يُوفِّقُ الْخَلْقَ لِلتَّوْبَةِ وَيَقْبَلُهَا مِنْهُمْ)، فَتَوْبَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ تَتَضَمَّنُ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: تَوْفِيقُهُمْ إِلَيْهَا، فَيُسِّرُ لَهُمْ سَبِيلَ التَّوْبَةِ.

وَالْآخَرُ: قَبُولُهَا مِنْهُمْ بَعْدَ صَدُورِهَا، فَإِذَا تَابُوا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ.

فَسَمِّيَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (تَوَّابًا) بِهَذَا. ذَكَرَهُ أَبُو تَيْمِيَّةَ الْحَفِيدُ فِي «قَاعِدَةِ التَّوْبَةِ».



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة المسد

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ

لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ .

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]؛ صعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصفا، فجعل ينادي: «يَا بَنِي

فِهْرٍ؛ يَا بَنِي عَدِيٍّ؛» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج

أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا

بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟!»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا،

قال: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فقال أبو لهب: تبَّا لك سائر اليوم، ألهذا

جَمَعْتَنَا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ .

وأبو لهب من أعمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان شديد العداوة والأذية له، فهلك

بذلك، وأخبر الله عنه وعن أمراته في هذه السورة فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ۝١﴾ أي:

خسرت يداه، ﴿وَتَبَّ ۝٢﴾ فلم يربح، والجملة الأولى دعاء عليه، والثانية خبر عنه، و﴿مَا

أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٣﴾، وكسبه: ولده، فلن يرد عنه ماله وولده شيئا من عذاب

الله إذا نزل به.

وقد توَعَّده الله بقوله: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ أي: سيدخل نارًا عظيمةً تتوقدُ فيصلاها، ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، وهي أمٌ جميلٌ التي كانت تحمل أغصان الشَّجر الكبيرة ذات الشَّوكِ، فتلقِيها في طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذِيَّةً له، فأعدَّ الله لها في عنقها حبلاً من مسدٍ؛ لقوله مُخْبِرًا: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، والمسدُّ: اللَّيف الشَّدِيد الخُشُونَةُ إِذَا فُتِلَ وَجُدِلَ؛ كضفائر الشَّعر.

وكان نزولُ هَذِهِ السُّورَةِ قَبْلَ مَوْتِ أَبِي لَهَبٍ وَأَمْرَاتِهِ، وأخبرَ الله أَنَّهُمَا سَيُعَذَّبَانِ فِي النَّارِ، فَلَنْ يُسَلِّمَا، فوقع الأمر كما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

من مواقع فهم خطاب الشَّرْع ملاحظة ما يجري فيه من المقابلة، ومنه في هَذِهِ السُّورَةِ مقابلةُ الله عَزَّوَجَلَّ بين أبي لَهَبٍ وَأَمْرَاتِهِ، فَإِنَّ الله ذَكَرَ أَبَا لَهَبٍ بِمَا يُعْرِفُ بِهِ فَقَالَ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، وذكرَ أَمْرَةً أَبِي لَهَبٍ بِغَيْرِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا، فذكرها مبهمَةً فَقَالَ: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾.

فَأَمَّا ذِكْرُ أَبِي لَهَبٍ بِاسْمِهِ - أَبِي لَهَبٍ - فثلاثة أمور:

أولها: ما في كنيته من الإشارة إلى عذابه، وهو اللَّهَبُ، واللَّهَبُ: هو ما يصطلي من النَّارِ. وثانيها: مبالغة في ترغيمة وإذلاله، إذ يذكر بما يعظَّم به - وهو الكنية - ثُمَّ يُهَانُ؛ كقوله

تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ [الدُّخَانُ]، فَإِنَّ الكنية عند العرب للتكريم، فإذا وقعت في موقع المهانة كان من أشدَّ المهانة لِمَنْ ذُكِرَ بِهَا.

وثالثها: أنه الاسم الذي كان يُعرف به، فهو ممن يقال فيه أن كنيته هي أسمه، وما رُوي بأن أسمه (عبد الكعبة) هو خلاف المشهور، فالمشهور أن كنيته هي أسمه.

وأما الأمر الثاني - وهو إبهام أمراته - فوقع لثلاثة أمورٍ أيضًا:

أولها: لما في أسمها من التمليح الذي لا يناسب العذاب، فإنه يُقال لها: أمٌ جميلٍ.

وثانيها: أن عادة العرب ذكرُها المرأة على وجه الإبهام. ذكره ابن جزيٍّ في غير هذا الموضع من «تفسيره»، فلم يأت في القرآن الكريم تسمية امرأة سوى (مريم)؛ لأجل المنفعة من تسميتها بذكر ولدها عيسى وأنه لا والد له^(١).

وثالثها: أن المرأة تابعةٌ زوجها، ولذلك ذكرها بالإضافة إليه، فقال: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، فجعلها مضافةً إليه بالضمير.

والمقصود بتبعيتها: كونها في كنفه ورعايته، لا في سجنه ومهانتها، فالشرع لم يأت بهذا، إنما أتى أن تكون المرأة تابعةً للرجل بأن يكون حريصًا على إكرامها وصيانتها وحفظها،

(١) فالجاري في عُرف العرب المبالغة في صيانة المرأة، لا الخوف من عارها كما يقوله من لا يعرف لسان العرب، فالعربي لا يأنف من ذكر أسم أمه أو أخته لأجل أنها عارٌ، وإنما لأجل المبالغة في صيانتها، فهذا هو مأخذهم في عدم ذكر أسمها.

فالأصل صون النساء عن ذكر أسمائهن؛ حفظًا لهنّ وغيره عليهنّ، مع الفخر بهنّ، فإن احتيج إلى ذكر أسمائهنّ فلا بأس، كما في الصحيح أن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: من أحب الناس إليك؟ فقال: «عائشة». فإذا وجدت الحاجة صرح بذلك، أما الابتداء بلا حاجة فهذا على خلاف سنن العرب الذي جاء الشرع على وفقه.

وإذا قرّر إنسان من هذا الحديث - من أحب الناس إليك؟، فقال: «عائشة» - أن الإنسان لا ينبغي أن يستحي أن يقول: أنا أحب زوجتي فلانة؛ فاستنباطه صحيح إذا كان في مقام يقتضي ذلك؛ كأن تكون بينها وبينه خصومة، فتجري فيها حكومة بحكم من أهله وحكم من أهلها، فيقول مثل هذا، أما أن يتبدى الحديث بهذا فهو على غير سنن الشرع ولما كانت عليه العرب.

وما عدا هذا من الأفهام التي تكون عند الناس من أهل اليمين أو من أهل الشمال فهي
فُهُومٌ سقيمةٌ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير

سورة الإخلاص

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، قالوا: وكيفَ يقرأ ثُلُثَ القرآن؟، قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ * تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن. رواه مسلم.

و عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اُنْسِبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّكَمُ * . رواه الترمذي وغيره، وهو حديث حسن.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّكَمُ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) * .

لَمَّا كَانَ الدِّينُ مَبْنِيًّا عَلَى الْإِخْلَاصِ أَخْلَصَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ لِنَفْسِهِ، أَمْرًا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ *؛ أَي: قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ مُبَلِّغًا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَحَدُ الْمَنْفَرِدُ بِالْكَمَالِ، الْمَتَفَرِّدُ بِالْأُلُوْهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَلَا يَشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهَا.

وَأَنَّهُ هُوَ ﴿اللَّهُ الصَّكَمُ﴾ *؛ أَي: السَّيِّدُ الْكَامِلُ الْمَقْصُودُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، فَالْخَلْقُ مَفْتَقَرُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَعْنٍ عَنْهُمْ، وَمِنْ كَمَالِهِ ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ * فَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ

ولا والد، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فلا يكافئه أحد في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله - تبارك وتعالى.



قال الشارح وفقه الله :

هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي بَيَانٍ مَعْنَى (الصَّمَد): أَنَّهُ (السَّيِّدُ الْكَامِلُ الْمَقْصُودُ فِي قَضَاءِ

الْحَوَائِجِ)؛ يَبَيِّنُ أَنَّ صَمْدَانِيَّةَ اللَّهِ تَجْمَعُ مَعْنَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: كَمَالُهُ وَسُؤْدَدُهُ فِي نَفْسِهِ.

وَالْآخَرُ: تَوَجُّهُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ فِي ابْتِغَاءِ حَوَائِجِهِمْ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

تفسير

سورة الفلق

عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ، لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾». رواه مسلم.

ومعنى «لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»؛ أي: في الاستعاذة بهنَّ.

وكان الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلةٍ جمعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا بِالْإِخْلَاصِ وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا أَسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ؛ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رواه البخاري.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوَّذَاتِ وَيَنْفُثُ، وَيَمْسَحُ بِيَدِهِ، وَإِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِهَا. متَّفَقٌ عَلَيْهِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

ما ذكره المصنّف في تفسير («لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»؛ أي: في الاستعاذة بهنَّ)؛ معناه: أن من خافَ شيئاً فأكمل ما يتعوّذ به أن يقرأ سورة الفلق والناس على نيّة الحفظ والحماية، فإذا خفتَ عدواً أو غيره فأكمل من أن تقول: أعوذ بالله منه؛ أن تقرأ هاتين السورتين على نيّة حفظ الله عزّ وجلّ لك من شرّه، فإنَّ الصّادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ»؛ أي: لا شيء يعدلهنَّ في الاستعاذة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ

شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

أمر الله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الإخلاص أن يقول مُبَلِّغًا، وأمره في سورة الفلق والناس أن يقول متعوذًا، فقال له هنا: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أَي: أَلَجَأُ وَأَعْتَصِمُ، ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وهو الصُّبْح، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ الله من المخلوقات، وأريد به بعضُها، وهو كُلُّ مخلوقٍ فيه شرٌّ.

ثم ذكر بعض أفراد المخلوقات المشتملة على شرٍّ، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وهو اللَّيْلُ إِذَا أَسْتَحْكَم ظِلَامُهُ؛ لما فيه من انتشار الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية، وعند الترمذي بسندٍ حسنٍ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظر إلى القمر، فقال: «يَا عَائِشَةُ؛ أَسْتَعِيزُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، فجعل القمر علامةً له.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي بَيَانِ مَعْنَى الْحَدِيثِ (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظر إلى القمر،

فقال: «يَا عَائِشَةُ؛ أَسْتَعِيزُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا»؛ يريد اللَّيْلَ، وجعل القمر علامةً له، فإنَّ

الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ دَلَائِلُ الشَّرْعِ أَنَّ مَحَلَّ الشَّرِّ هُوَ اللَّيْلُ، وَلَوْ فِي زَمَنِ لَا يَظْهَرُ فِيهِ الْقَمَرُ، بَلْ
أَشَدُّ مَا يَكُونُ الشَّرُّ فِي اللَّيْلِ إِذَا لَمْ يَظْهَرِ الْقَمَرُ؛ لَشِدَّةِ الظُّلْمَةِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وهي الأنفس السَّواحر من الرجال والنساء اللواتي يستعينن على سحرهنَّ بالنَّفخ مع ريقٍ لطيفةٍ في العُقَد المشدودة عليه.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وهو مَنْ يكره وصول النِّعمة إلى محسوده، أَسْتَعاذ منه إذا ثار حسدُه وَبَرَزَ.

وقد تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الاستعاذة من أنواع الشرور عمومًا، ومن أصولها خصوصًا.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله في الجملة المتقدمة: (يَسْتَعِينَنَّ عَلَى سِحْرِهِنَّ بِالنَّفْخِ مَعَ رِيْقٍ لَطِيْفَةٍ)؛ تفسيرٌ للنَّفْث: أَنَّ النَّفْثَ نَفْخٌ مَعَهُ رِيْقٌ لَطِيْفَةٌ، فليس هواءٌ خالصًا، فلهواء الخالصُ يسمَّى: نَفْخًا، فَإِنْ صُحِبَ بِرِيْقٍ لَطِيْفَةٍ سَمِيَ: نَفْثًا.

وما ذكره من تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أَنَّهُ قَالَ: (وَهُوَ مَنْ يَكْرَهُ وَصُولَ النِّعْمَةِ إِلَى مُحْسُوْدِهِ)؛ بَيَانُ حَقِيقَةِ الْحَسَدِ^(١)، وَأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ اقْتِرَانُهُ بِتَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ، لَكِنَّهَا مَرْتَبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِهِ.

فَالْحَسَدُ هُوَ: كَرَاهِيَّةُ وَصُولِ النِّعْمَةِ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَلَوْ لَمْ يَتَمَنَّ زَوَالُهَا. ذَكَرَهُ أَبُو تَيْمِيَّةَ الْحَفِيدُ، وَصَاحِبُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْقَيْمِ، وَالْوَضْعُ اللَّغَوِيُّ يُدُلُّ عَلَيْهِ.

(١) وَقَعَ هُنَا قَطْعٌ فِي التَّسْجِيلِ، وَأُسْتُكْمِلَ الْكَلَامُ مِنْ شُرُوحٍ أُخْرَى.

فمَتَى وَجِدَ هَذَا الْمَعْنَى عَدَّ الْعَبْدَ حَاسِدًا وَإِنْ لَمْ يَتَمَنَّ زَوَالِ النِّعْمَةِ عَمَّنْ هُوَ فِيهَا، فَإِذَا
تَمَنَّيَ ذَلِكَ كَانَ حَاسِدًا حَسَدًا أَشَدَّ مِنْ مَجَرَّدِ مَنْ يَكْرَهُ وَصُولَ النِّعْمَةِ.
فَالْحَسَدُ وَأَهْلُهُ مَرَاتِبٌ وَدَرَجَاتٌ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تفسير
سورة الناس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦﴾. ﴿

مستهلُّ هذه السُّورة كسابقتها؛ فإنَّ الله أمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ مُتَعَوِّذًا، فقال له: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أي: أَلْجَأُ وَأَعْتَصِمُ؛ ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وهو سَيِّدُهُمُ الْمَالِكُ والمُصْلِحُ لَهُمْ، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، ومُلكه من ربوبيَّته، لَكِنْ أَفْرَدَ لجلالة موقعه، ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾: معبودهم بحقٍّ، ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ وهو الشَّيْطَانُ، ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ فيُحَسِّنُ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيُقَوِّي إِرَادَتَهُمْ لَهُ، وَيُقَبِّحُ لَهُمُ الْخَيْرَ وَيُثَبِّطُهُمْ عَنْهُ، فإذا أَسْتَعَاذَ مِنْهُ الْعَبْدُ تَأَخَّرَ وَأَنْدَفَعَ عَنْهُ، فالخَنَّاسُ هو المتأخِّرُ المندفعُ إذا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَأَسْتَعَاذَ بِهِ فِي دَفْعِهِ، ومَحَلُّ وسوسته: صدورُ الخلق ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. ﴿

تمَّ الكتاب بعون الله وحسن توفيقه
على يد جامعهِ لِنَفْسِهِ، وَلَمَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ
صالح بن عبد الله بن حمد العُصَيْمِيِّ
غفر الله له، ولوالديه ولشايعه، وللمسلمين
في الثَّامِنِ مِنْ شَوَّالٍ، سنة ثلاثين بعد الأربعمئة والألف
بمدينة الرياض حفظها الله داراً للإسلام والسُّنة



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ :

قوله: (وَمَحَلُّ وَسُوسَتِهِ: صَدُورُ الْخَلْقِ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾)؛ أي أن إلقاءه يكون في صدور الجنّة والنّاس، فالوسوسة: إلقاء باطنٍ يحمل على التّشيط عن الخير، والرّغبة في الشّرّ، ويقابله الوشوشة؛ وهي: إلقاء ظاهرٍ للشّرّ على وجهٍ خفيٍّ أيضًا، فالوسوسة هي من أسلحة شياطين الجنّ، والوشوشة هي من أسلحة شياطين الإنس. وبهذا نكون بحمد الله قد فرغنا من شرح الكتب التي هي في هذا البرنامج، وعدّها خمسة عشر كتابًا، نسأل الله أن يرزقنا جميعًا حسن نعمته، وأن يزيدنا من فضله.

تَمَّ الشَّرْحُ فِي مَجْلِسَيْنِ

لَيْلَةَ السَّبْتِ السَّادِسِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ

سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ وَالْأَلْفِ

فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

